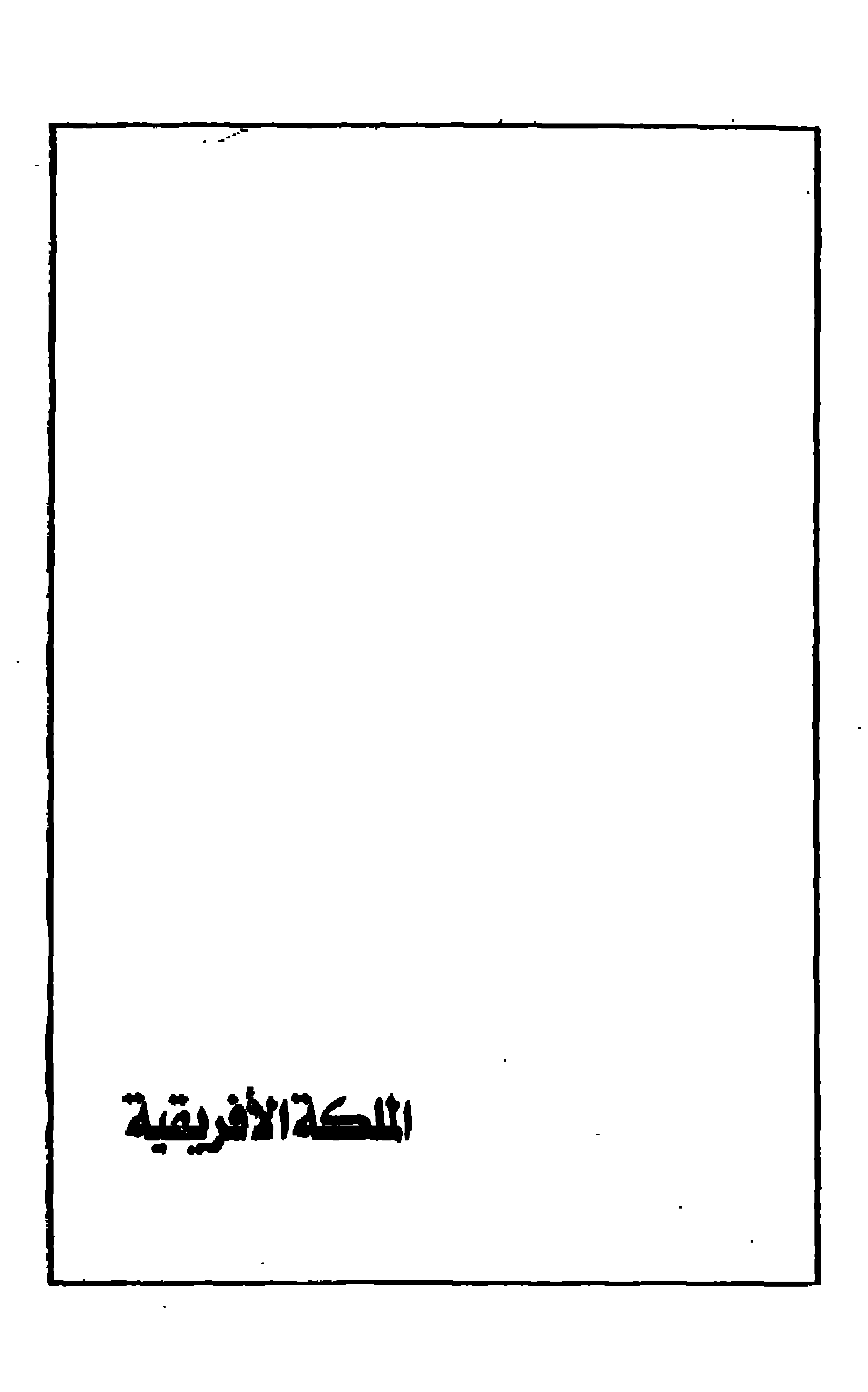

الملكة الأفريقية
سي . اس . فورستر
الأدب العالمي للناشئين
مكتبة الأسرة
مهرجان القراءة للجميع



الملكة الأفريقية

صورة الغلاف:

اسم العمل الفنى : تابلوه فى المطعم ١٨١٤ «تفصيل»

التقنية : زيت على توال مقتنيات متحف اللوفر

ادوارد مانيه «١٨٣٢ـ ١٨٨٣»

مصور فرنسي من أعظم الشخصيات الفنية. درس الفن في باريس، وله منحوتات على النحاس والليتوجرافيا، كما اشتهر بصناعة صور الكتب، وهو رمز الثورة على أهواء الأكاديميين، مما جعله مركز اهتمام شباب الفنانين الذين تمخضت عنهم المدرسة الانطباعية×. مارس التصوير في الخلاء، وعمل فترة مع مونيه ورينوار، فكانت ألوانه تنبض بالحياة.

محمود الهندى

× الانطباعية : مدرسة فنية ظهرت فى أواخر القرن التاسع عشر، تزعمت حركة التحرر فى الفن ، حيث هجر أصحابها جدران المراسم ليقوموا بتسجيل الانطباعات المتغيرة من الطبيعة مباشرة، فتألقوا فى إبراز أثر الضوء.



المملكة الأفريقية

تأليف : سى . اس . فورستر

ترجمة : الشريف خاطر

مراجعة : مختار السويفى



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٠
مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(روائع الأدب العالمى للناشئين)

الملكة الأفريقية
تأليف: سى. اس. فورستر
ترجمة: الشريف خاطر
مراجعة: مختار السويفى

الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنان: محمود الهندى

المشرف العام:
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة الإدارة المحلية
وزارة الشباب
التنفيذ: هيئة الكتاب

على سبيل التقديم

«كتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة» تلك الصيحة التى أطلقتها المواطنة المصرية النبيلة «سوزان مبارك» فى مشروعها الرائع «مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة» والذى فجر ينابيع الرغبة الجارفة للثقافة والمعرفة لشعب مصر الذى كانت الثقافة والابداع محور حياته منذ فجر التاريخ.

وفى مناسبة مرور عشر سنوات على انطلاق المشروع الثقافى الكبير وسبع سنوات من بدء مكتبة الأسرة التى أصدرت فى سنواتها الست السابقة «١٧٠٠» عنواناً فى حوالى «٣٠» مليون نسخة لاقت نجاحاً واقبالاً جماهيرياً منقطع النظير بمعدلات وصلت إلى «٣٠٠» ألف نسخة من بعض إصداراتها.

وتنطلق مكتبة الأسرة هذا العام إلى آفاق الموسوعات الكبرى فتبدأ بإصدار موسوعة «مصر القديمة» للعلامة الاثرى الكبير «سليم حسن» فى «١٦» جزءاً إلى جانب السلاسل الراسخة «الابداعية والفكرية والعلمية والروائع وامهات الكتب والدينية والشباب» لتحاول أن تحقق ذلك الحلم النبيل الذى تقوده السيدة: سوزان مبارك نحو مصر الأعظم والأجمل.

د. سمير سرحان

● هذه ترجمة لرواية :

THE AFRICAN QUEEN

By : C. S. FORESTER

المـــؤلف

ولد سى • اس • فورستر (سـيسل اسـكوت فورستر) بالقاهرة فى أغسطس عام ١٨٩٩ ، وكان الابن الخامس والأخير لجورج فورستر الذى كان يعمل مدرسا للغة الانجليزية باحدى المدارس التى أنشأها الاحتلال البريطانى فى مصر لتعليـم الانجليزية لأولاد الطبقة الراقية •

فى عام ١٩٠١ ، وعندما أصبح سيسل فى سن الثالثة قررت والدته « سارة ميدهيرست ثروتاون » العودة الى انجلترا ، حتى يتمكن أولادها من الالتحاق

بالمدارس الانجليزية ، على أن يبقى جورج فى القاهرة ، ويقوم بزيارة عائلته لمدة شهر كل عام ٠

وفى عام ١٩١٥ ، التحق سيسل بكلية « دلوسن » ، ثم حاول الالتحاق بالجيش لكنه رسب فى الكشف الطبى ٠ بعدها التحق بكلية « جاى » لدراسة الطب ، لكنه بدد وقته فى كتابة القصص بدلا من الانتظام فى الدراسة ٠ وفى عام ١٩٢١ اتخذ لنفسه اسم سى ٠ اس ٠ فورستر ككاتب ٠

لم تذع شهرة فورستر كروائى الا بعد فترة ، ولم يستطع أن يكسب ما فيه الكفاية من الكتابة ، الا بعد أن وصل الى سن السابعة والعشرين ٠

كانت روايته الأولى بعنوان « رهينة بين الملوك » ١٩٢٤ ، وفيها استرجع أيام صباه عندما كان يلعب الشطرنج بخطة نابليون ٠٠ وبطلة الرواية امرأة متخيلة قامت بتعرية أخطاء نابليون من خلال تفنيد قراراته فى لحظات عصيبة ٠ وقد لاقت الرواية تقديرا كبيرا من قبل النقاد ٠

أما روايته الناجحة « العقاب المؤجل » ١٩٢٦ ، فهى تعالج لحظة فزع أو رعب لا يمكن تصديقها ٠

وتحكي قصة رجل شنق لجريمة لم يرتكبها ، لأنه لم يستطع أن يبرىء نفسه ، لأن ذلك كان يتطلب اثبات عدم ارتكابه للجريمة ، وقد تم تحويل الرواية الى فيلم سينمائي عام ١٩٣٢ ٠

وبعد نجاح رواية « العقاب المؤجل » تزوج سيسل سرا من « كاثلين بلشر » ابنة الرجل الذى كان راعيا له خلال فترة غياب والده ، والذي كان يقضي في بيته الكثير من الوقت ٠

ومع نشر روايتى « الموت لفرنسا » عام ١٩٣٢ ، و « البندقية » عام ١٩٣٣ ، نال فورستر شهرة أدبية عريضة ٠٠ وفى عام ١٩٣٥ صدرت روايته الشهيرة « الملكة الأفريقية » ٠ التى تعرض للعلاقة بين « روزساير » شقيقة أحد المبشرين فى وسط آفريقيا ، و « تشارلز ألانت » وهو مهندس انجليزى يعمل فى أحد المناجم البلجيكية ، وتلك المغامرة التى قاما بها فى زورق صغير عبر النهر في أواسط أفريقيا ، الخاضعة للاحتلال الألمانى خلال الحرب العالمية الأولى ٠ وقد تحولت هذه الرواية الى فيلم سينمائى عام ١٩٥١ ، وقام ببطولتها النجمة كاترين هيبوزن » والنجم « همفرى بوجرت » من اخراج المخرج الأمريكى الكبير « جون هيوستن » ٠

استدعى فورستر الى هوليوود لكتابة فيلم عن القرصنة البحرية ، تحت اشراف « آرثر هورن بلو » وبمشاركة « نيفن بش » • وقبل أن ينتهوا من كتابة السيناريو ، أنتج أحد الاستوديوهات الأخرى فيلما تحت عنوان « القرصان الدموى » استخدمت فيه نفس الأحداث التاريخية التى بنى عليها فورستر فيلمه • وقبل أن تتاح له فرصة العمل فى سيناريو آخر ، طارده مشهد سينمائى لمغنية أوبرا شهيرة تلاشت عنها الأضواء ، فآثر العودة الى الوطن •

وأثناء رحلة العودة التقى بالمصورة « باربرا ساترو » ، وأتيحت لهما فرصة رحلة بحرية ليوم واحد فى أحد الزوارق فى خليج « فونسيكا » •

وما ان انتهت رحلة العودة حتى كان قد كتب روايته الشهيرة « العودة السعيدة » ١٩٤٧ • وكانت شخصياتها الرئيسية • « هورن بلو ، وبش وليدى باربرا » • كان فورستر معجبا بشخصية « هورن بلو » بكل انسانيته ومزاجه الصعب ، وكم كان يود أن تكون لديه نفس شجاعته • لذا فقد كتب سلسلة من الأعمال بطلها « هورن بلو » منها « هورن بلو والأزمات » ١٩٥٧ ، و « رفيق هورن بلو » ١٩٦٤ ، التى يروى

فيها قصصا نادرة مدعمة بالخرائط كخلفية توضيحية للرواية ٠

وخلال الحرب الأهلية الأسبانية عمل سيسل مراسلا موسميا ، ثم فيما بعد كان يكتب تقارير عن الاحتلال النازى « لتشيكوسلوفاكيا » عام ١٩٣٩ ٠
وفى نفس العام حصل على جائزة « جيمس تيت ــ بلاك » التذكارية ، وفى أواخر العام عمل كمراسل لجريدة التايمز اللندنية ٠

وأثناء الحرب العالمية الثانية عمل فى مصلحة الاستعلامات البريطانية ، واستطاع أن يقنع المسئولين فى الحكومة بسفره الى أمريكا للقيام بالدعاية لانجلترا من خلال تحرير الأخبار ، وكتابة الأفلام والقصص القصيرة والروايات ، لكى تستمر أمريكا فى الوقوف الى جانب بريطانيا ٠ ومن ثم أصبح معروفا من خلال عمله ، من قبل الأدميرالات والجنرالات ورؤساء الوزارات ٠ كان مقره الرسمى فى « بركلى » بكاليفورنيا طوال فترة قيامه بهذه المهمة ٠ وفى عام ١٩٤٣ ، أصيب بتصلب الشرايين فى ساقيه ٠

وفى عام ١٩٤٥ ، تم طلاقه من كاثلين ٠ وفى عام ١٩٤٧ ، تزوج سرا للمرة الثانية سيدة أخرى من مجموعة أصدقائه الشباب هى دورثى فوستر ٠

وفى عام ١٩٦٤ ، أصيب بسكتة دماغية أصابته بالشلل ومات عام ١٩٦٦ ·

أنجب فورستر ولدين من كاثلين ، جون ١٩٢٩ ، جورج عام ١٩٣٣ ·

كان فورستر غزير الانتــاج ، فقد كتب حوالى خمس وخمسين رواية ، حققت له شهرة واسعة وأرست له مكانا متميزا بين كتاب الرواية الانجليزية فى القرن العشرين · ورغم أنه كتب سيرته الذاتية فى رواية « ما قبل الأربعين » الا أن أعظم ما كتبه بشكل كامل ومركب كان عن حياته الشخصية ·

« **الشريف خاطر** »

(١)

وحدى ، مع رجل ميت فى غابة أفريقية

يعود تاريخ هذه القصة الى عام ١٩١٤ ـ خلال الحرب العالمية الأولى • المكان جزء من قارة أفريقيا تحت السيطرة الألمانية • كانت « روز ساير » وشقيقها « صامويل ساير » ، يعملان بالتبشير فى بعثة تبشيرية ، لديها الكنيسة والمدرسة ، ويقومان بتعليم مبادىء الدين المسيحى للأفارقة فى القرية •

لاحظت روز ساير أن شقيقها صامويل مريض جدا : وأن حالته الصحية أصبحت أسوأ • فعندما كان يركع لتلاوة صلاة المساء كانت يداه ترتعشان ، ويضعف صــوته للغاية • كان يبتهل الى الله أن يغفر لهما ويرشدهما الى السبيل القويم فى حياتهما • بعد ذلك

بدأ في تلاوة صلاته العادية طالبا أن يبارك الله البعثة : لكن صـــوته خانه · كانا قد وهبا حياتهما للبعثة ، أما الآن فقد توقف نشاطهـــا · فقد أجبر الجنرال « فون هانكن » وجنوده جميع سكان القرية للعمل كجنود أو حمالين في الجيش الألماني لوسط أفريقيا · وتم الاستيلاء على كل الحيوانات والأغذية ·· كل شيء فيما عدا البيت الصغير الذى يعيش فيه صـــامويل وشقيقته روز ·

ثم أخذ صامويل يبتهل الى الله أن يبـارك جيش انجلترا ليحقق النصر · كان صوته في تلك اللحظة قويا ·· مليئا بروح قتالية ·

فرددت روز : « آمين ! آمين ! آمين ! » ·

قال صامويل : « أعتقد يا أختى ، أنني سأذهب الى الفراش الآن » ·

كان الليل قد انتصف قبل أن تذهب روز الى الفراش ، لكنهـــا استيقظت عند شروق الشمس · فأسرعت خارجة من حجـرة نومها عبر حجرة المعيشـــة متجهة الى حجرة صامويل · لابد أن يكون صامويل قد نادى عليها ، لكن لم يكن في مقدوره أن ينادى عليها

الآن · لم تستطع أن تفهم ماذا كان يقول · لكنه أخذ يردد : « البعثة المسكينة ، الألمان هم السبب » ·

وما لبث أن مات بعد ذلك · بكت روز بجوار سريره · وأخيرا نهضت واقفة ببطء · كانت شمس الصباح تنشر أشعتها فوق الغابة ، وعلى ذلك المكان المقفر الذى توجد به القرية · لقد أصبحت وحيدة ·

صحيح أنها أصبحت وحيدة ، لكن خوفها لم يلازمها طويلا · كان عمرها ثلاثة وثلاثين عاما ، قضت منه عشر سنوات فى غابات وسط أفريقيا : تعلمت خلالها أن تثق فى نفسها · كما أن عقيدتها المسيحية كانت كفيلة بأن تمدها بالقوة ·

لكنها سرعان ما شعرت بغضب شرس تجاه الألمان · لقد قتل « فون هانكن » صامويل : ودمر جهد عشر سنوات · والأسوأ من هذا ، أنهم أساءوا الى كلمة الرب · فلن يعود أحد من أتباعهم الى البعثة ·

منذ طفولتها كانت قد تعلمت أن تحب أخاها وترعى شئونه ، وعندما أصبح قسيسا احترمته وما تزال · كانت تقوم بترتيب شئون البيت ، وتطيعه ، وتساعده مدة عشر سنوات · ولم يكن مستغربا أن

تشعر بغضب شرس ضـــد أولئك الذين تسببوا فى موته ٠

كان أخوها يبتهل فى صلاته للجيش الانجليزى، ليحقق النصر على الألمان ٠ فانتابتها رغبة بتوجيه ضربة من أجل انجلترا لتحطيم أعدائها ، لكن ذلك كان مجرد حلم يقظة ٠ فلم يكن أمامها فرصة لفعل أى شىء ٠

فى تلك اللحظة بالذات رفعت روز عينيها ورأت رجلا يتطلع بحذر من خلال الأشجار المحيطة بالقرية ٠ لم تكن تعلم أن ظهور هذا الرجل كان فرصتها ، ولم يكن لديها أية فكرة أن هذا الرجل من الممكن أن يكون الأداة التى يمكن استخدامها لتوجيه ضربتها من أجل انجلترا اكتشفت فى هذه اللحظة انه « ألانت » وهو مجرد عامل انجليزى لنـدنى يعمـل لدى البلجيكيين فى منجم للذهب على بعد مائتى ميل من النهر ٠ لم يكن شقيقها يحبه : لأنه لم يكن يسلك سلوك المسيحيين : وكان مصدر سوء للأفريقيين ٠

لكنه وجه انجليزى بأى حـال من الأحوال ، وجه صـديق ، وشعرت بأنها لم تعد وحيدة فى الغابة ٠ فأسرعت ناحيته ولوحت لألانت بيدها ٠

(٢)

أول يوم على سطح « الملكة الأفريقية »

بادرها ألانت بالسؤال : « أين راح كل شيء يا آنسة ؟ » .

أجابته روز : « لقد ضاع كل شيء » .

ـ « وأين أخوك ؟ » .

ـ « انه بالداخل . لقد مات » .

كانت تعرف أنه لا ينبغي عليها أن تظهر حزنها : لأن ذلك سيظهر ضعفها . وأقفلت فمها بحزم كالعادة .

ـ « مـات ؟ .. شيء سيئ .. هـل كان الألمان هنا يا آنسة ؟ » .

قالت روز : « نعم . أنظر » .

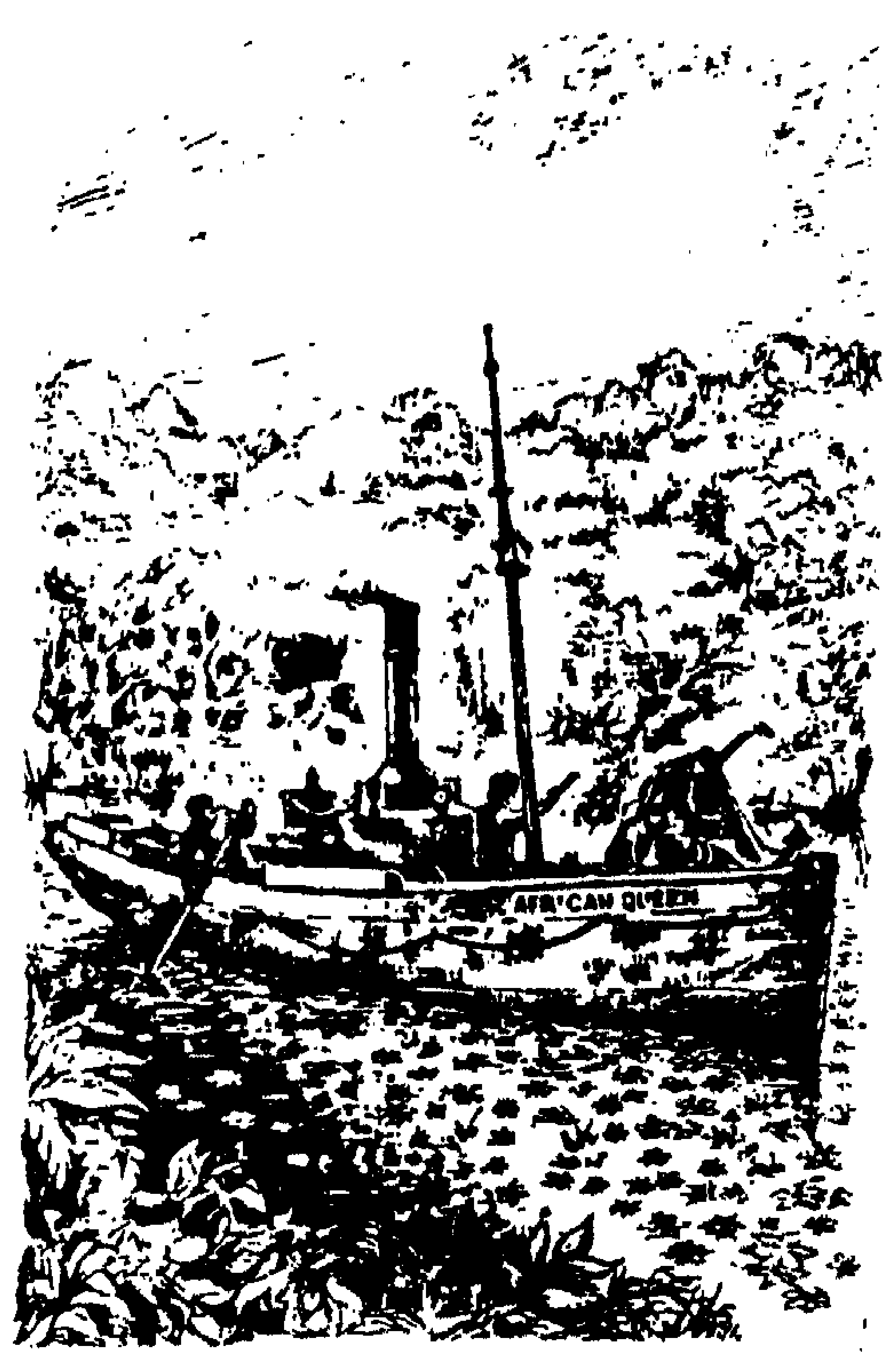
شاهد مجموعة خالية من الأكواخ على شكل دائرة . لا رجال ولا نساء ، ولا أطفال . والغابة الساكنة تقبع فى الخلف .

قال ألانت : « هذا شيء في منتهى السوء ، أليس كذلك ، يا آنسة ؟ . لقد حدث نفس الشيء هناك فى المنجم . استولوا على كل شيء . ولا أدرى ماذا فعلوا مع البلجيكيين . وقد أبت نفسى أن أكون أسيرا لذلك الرجل الطويل ــ هانكن . فر كل الرجال الذين كانوا يعملون معى أثنــاء الليل وتركونى فى ذلك الزورق الصغير .

قالت روز باهتمام شديد : « الزورق الصغير ؟ ».

ــ « نعم يا آنسة . « الملكة الأفريقية » . انطلقت به عبر النهر الى « لمباسى » للتزود ببعض الأشياء . لم يتصور أهل لمباسى أن الألمان من الممكن أن يهاجموهم : فأعطونى ما أريد وتركونى أمضى . أنا أعتقد أن هانكن فعل معهم نفس الشيء مثلما فعل مع المنجم . لكنه لم يحصـــل على الزورق ولا ما به ، كان سيسعد كثيرا لو حصل عليه ! » .

سألت روز : « ماذا به ؟ » .



الملكة الافريقية

ـ « جيلاتين ناسف ، يا آنســـة : مادة متفجرة تســتخدم فى المناجم • ثمـــان صـــــناديق منها • واسطوانات من المعدن الصلب لتعبئة الغاز • تستخدم فى لحام المعادن ، بواسطة اللهب الشديد الذى يصدر منها • كان هانكن سيستفيد من ذلك كله » •

دخلا البيت •

ـ « كم مضى عليـه من وقت منـذ أن مات ، يا آنسة ؟ » •

ـ « مات هذا الصباح » •

فى البـلاد الحارة لا يترك الشخص الميت لمـدة تزيد على ست ساعات •

قال ألانت : «لا بأس ، يا آنسة • سوف أحفر له قبرا » •

قالت روز « لدى كتاب صلواتى ، باستطاعتى قراءة شيء منه عند الدفن » •

تطلع ألانت ناحية أطراف الغابة ، ليرى اذا كان هناك أى أثر للألمان • ثم أخذ يبحث عن مكان لحفـــر القبر •

قال وهو يشير بيده : « أعتقد أن هذا المكان مكان مناسب • فالأرض ليست صلبة جدا ، كما أن الظلال تكسوه • ـ من الأفضل أن نسرع يا آنسة • فمن الممكن أن يعود الألمان ثانية » •

عندما انتهى كل شيء ، وقفت روز بجوار القبر يملأها الأسى • انتظرها ألانت ، ثم تحرك ناحيتها ، مشيرا اليها بالانصراف •

ـ « هيا بنا نتجه الى النهر ، يا آنسه • دعينا نبتعد عن هذا المكان » •

وضعت روز بعض حاجياتها فى حقيبة ، ومضى الاثنان سويا •

كان الطريق الى النهر عبارة عن ممر منحدر خلال الغـــابة • والأرض رخوة جدا فى بعض الأماكن ، مما جعل سيقانهما تغوص حتى ركبهما • وفى بعض الأحيان كانت تساعدهما جذور الأشـــجار • مع كل خطوة كانت رائحة النهر تصبح أقوى • وهكذا حتى خرجا من ظلال الغابة الى ضوء الشمس الشديد الوهج • كان الزورق راسيا ، بالقرب من الحافة ، ومياه النهر البنية اللون تتدفق بحذاء شاطئية •



روز تصل بجوار قبر اخيها

قال ألانت : « خذى حذرك الآن ، يا آنســــة ، ضعى قدمك هنا ، على هذه السقالة . تمام » .

جلست روز فى الزورق وأخذت تتفحصه . كان هذا الزورق يمثل أهمية خاصة بالنسبة لها . طوله ثلاثون قدما . دهاناته كالحة . وعلى مقدمته كوم عال من الصناديق . فى مؤخرته عند الدفة مظلة للحماية من حرارة الشمس ، لكن روز استشعرت حرارة الغلاية عندما جلست تحت المظلة .

قام ألانت بوضع مزيد من الخشب فى النار . فانطلق الدخان من المدخنة . بدأ المحرك يعمل . جذب الخطاف ، وبدأت مروحة الدفع تدور بسرعة ، وقام ألانت بدفع الزورق بعيدا عن الشاطىء . ثم نحى روز جانبا بينما كان يحرك الدفة فى نفس اللحظة ليمنع الزورق من الاصطدام بالشاطىء .

ــ « سوف نجد مكانا خلف احدى الجزر يخفينا عن الأنظار . بعد ذلك نتحدث فيما يمكن أن نفعله . هيا ، يا آنسة ! أمسكى الدفة وحافظى على وضعها » .

كانت يد الدفة الحديدية ساخنة جدا ، لدرجة كادت تحرق يدها . لكنها كانت تمتلك احساسا رائعا بالقوة ، بينما كانت تقوم بتحريك الدفة . كما أنها شعرت بأن الزورق يستجيب لأى حركة صغيرة منها .

ـ « الى اليسار قليلا ، يا آنسة » •

اتجه الزورق داخـــل مجرى ضيق • واندفع ألانت فوق صناديق المتفجرات ليوقف المحرك ثم عاد مسرعـا ليسقط الخطاف فى المـاء ، فتوقفت الملكـة الأفريقية • كانت أغصان الأشجار تتشابك من فوقهما ، وجلسا تحت الضوء الأخضر • كان السكون يعم المكان ، ولا يسمع سوى صوت تدفق المياه • كان الجو منعشا بدرجة رائعـة • وفجـأة اندفعت الهوام والحشرات القارصة من الشجيرات ، فى شكل سحابات ، وبدأت تلدغهما دون رحمة •

عاد ألانت الى المؤخرة حيث تجلس روز تحت المظلة • كانت تتدلى من فمه سيجارة • كانت له لحية خفيفة •• كان ما يزال يبدو خائفـا مثلما كان وهو يقاتل الحشرات ، لكنه حاول أن يخفى خوفه •

ـ « حسن ، ها نحن فى أمان هنا ، يا آنسة • والسؤال الآن ، ماذا بعد ذلك ؟ • نحن لدينا كمية لا بأس بهـا من الطعـام • وحوالى ألفى سـيجارة ، وصندوقين من شراب الجن • وبالتالى يمكننا البقاء هنا لعدة شهور اذا أردنا ذلك • فى رأيك ، الى متى تظنين أن هذه الحرب ستظل قائمة ؟ » •

تطلعت اليه روز فى صمت . كان ألانت يريد أن يظلا هنا حتى تنتهى الحرب ! . ولم يكن لديه أية فكرة عن الضربة التى تود روز أن تسددها من أجل انجلترا ! .

قال ألانت : « نحن لا ندرى بأى سبيل ستاتى النجدة . من المحتمل أن يأتوا عن طريق السكك الحديدية الى لمباسى ، وعندئذ يمكننا الذهاب الى هناك . شىء واحد مؤكد : هو أنهم لن يأتوا عن طريق البحيرة ، ومن ثم الى هذا النهر . فلن يستطيع أحد عبور البحيرة بينما توجد « اللويزا هناك » .

و « اللويزا » زورق شرطة ألمانى ، مجهز بستة مدافع من زنة ستة أرطال .. لقد أحضر هذا الزورق من الساحل مفككا ، ثم تم تجميعه فى البحيرة منذ ثمان سنوات . ومازالت روز تذكر ذلك . كانت الطرق تشق بقطع أشجار الغابة من أجل نقله ، وساهم فى ذلك مئات الأفارقة . ومن ثم سيطرت « اللويزا » على الأمن فى البحيرة وفى المناطق التى حولها ، ومنعت اللصوص من سرقة الزوارق ، وأوقفت الحروب التى كانت تنشب بين الأفارقة . وبدأت المزارع والقرى تنتشر على شواطىء البحيرة . والآن تسيطر « اللويزا »

على البحيرة سيطرة محكمة ، كما تسيطر بريطانيا على البحار التي تحوطها ٠

قال ألانت : « لم يكن هانكن ليظل باقيا لمدة شهر ، لولا وجود « اللويزا » ٠ وكان الانجليز قد هاجموه عبر البحيرة ٠ ولأن الوضع كذلك ، فمن المحتمل أن يقوم هو بمهاجمتهم بصفة مستمرة » ٠

واصل ألانت تدخين سيجارته ، ثم قال : « كل ذلك لن يجعلنا نقترب من الوطن ، أليس كذلك ، يا آنسة ؟ ٠ لا أستطيع أن أتصور ماذا يمكن أن نفعل » ٠

قالت روز : « لابد أن نفعل شيئا من أجل انجلترا ! ٠

قال ألانت : « هو هو ٠٠٠ ! » كانت تلك صيحته المعتادة اذا اندهش ٠

كان تفكير ألانت بعيدا تماما عن مسألة الحرب بقدر الامكان ، لكنه رأى ذلك على ملامح وجه روز ، وشعر أنه ينبغى عليه أن يسايرها ٠

قال : « نعم ، يا آنسة ، لو كان لدينا ما يمكن أن نفعله ، لكنت أول من يقول انه ينبغى علينا أن نقوم بذلك ٠ ما رأيك ؟ » ٠

ـ « هذا النهر ، نهـر الانجا ، ألا يتجه نحـو البحيرة ؟ » .

ـ « نعم ، يا آنسة ، لكنك لو كنت تفكرين فى المضى عبر النهر الى البحيرة ... فلا داعى للتفكير فى ذلك . هذا مستحيل تماما ! » .

ـ « لماذا ؟ » .

ـ « بسبب الجنادل المائية ، يا آنسة . حيث تتدفق مياه النهر بسرعة شديدة فوق الصخور من خلال مجرى ضيق . لم يحدث أبدا أن عبر أحد ذلك الجزء من النهر ، فيما عدا رجل يدعى « سبنجلر » .

ـ « أذكر ، أنه فعل ذلك » .

ـ « نعم ، يا آنسة ، عبر ذلك الجزء فى قارب أفريقى بصحبة ستة رجال . هناك أماكن يكون اتساع النهر فيها عشرين ياردة ، تندفع الميـــاه فيهـا بقوة شديدة . من الممكن فعل ذلك بقارب صـــغير ، لكن لا يمكن فعل ذلك أبدا بواسطة زورقنا هذا ! .

ـ « لكن كيف وصل زورقنا هذا الى النهر ؟ » .

ـ « بواسطة السكك الحديدية ، يا آنسة ، مثل كل المعدات الثقيلة . لقد وصـــل مفككا الى المباسى

ثم قاموا بتجميعه عند الشاطىء · وهذا ما حدث « للويزا » ، فقد حمل الرجال أجزاءها على أكتافهم الى البحيرة ·

قالت روز : « نعم ، أذكر ذلك · ولقد عانى صامويل بعض المشاكل فى ذلك الوقت ، لأنه تكلم عن سوء معاملة الأفارقة عند قيامهم بذلك · والآن مات شقيقها ، وقد كان أفضل انسان على هذه الأرض ·

ولقد وقفت الى جانبه فى صراعه الممتد مع الألمان ، وحاولت تعلم اللغة السواحيلية والألمانية ولغات أخرى تلبية لأوامره · فالنساء التى فى مستواها يفعلن ما يأمر به رجالهن ·

استطاعت روز أن تصدر حكمها على شخصية ألانت · لم يكن ذلك سهلا · فقد أخذت تتطلع الى وجهه لفترة طويلة ، وحوله سحابة من الحشرات ·

لقد جاءت من بلادها الى هذا المكان منذ عشر سنوات مع شقيقها · وبينما كانت السفينة تعبر مضيق جبل طارق ، مرورا بجزيرة مالطة ، وبورسعيد ، شاهدت السفن الحربية البريطانية ، وانتابها الفخر لمكانة بريطانيا فى العالم · لكن شقيقها كان رجل

سلام ، يرى أنه من الخطأ صرف الأموال على السفن الحربية ،ومن الأفضــل صرفهـا على تغذية الفقراء وتعليمهم • والآن وبعد أن مات شقيقها عاودتها هذه الأفكار • كان يقول ان الحرب لا يمكن أن تقع أبدا ، لكنها وقعت • وأصبحت بريطانيا فى خطر •

نهضت من مكانهـا فى مؤخرة الزورق ومضت ناحية المكان الذى كومت فيه الأشــياء المخزنة عند المقدمة •

ـ « ما هـذه الصناديق التى تحمل عــلامات حمراء ؟ » •

ـ « هذه متفجرات ـ جيلاتين ناسف : قلت لك عنها من قبل ••• انهـا آمنة تماما ، فهى لا تنفجر الا اذا دققت عليهـا ، أو قربتهـا من النار • وهى لا تنفجر أيضا الا اذا استخدمنا مادة مفجرة ، أى اذا فجرناشيئا آخر بداخلها • ولسوف أضعها على جانبى الزورق اذا كنت خائفة منها » •

قالت روز : « كلا ! فربما نحتاج اليها » •

أشارت روز الى اســطوانات الغاز ، وقالت : « هل هذه اسطوانات ؟ » •

ــ « نعم ، يا آنسة • اسطوانات غاز • وأعتقد أننا لن نكون فى حاجة لاستخدامها • سوف أسقطها من الزورق •

ــ « كلا ! لا تفعل ذلك ! » • تذكرت روز شيئا ما ، وتطلعت الى الاسطوانات ثانية ، وقالت : « انها أشبه بالطوربيد ، ذلك الشيء الذى تدفع به السفن الحربية تحت الماء لتدمير السفن الأخرى • ألا تستطيع يا ألانت أن تصنع طوربيدا ؟ » •

ضحك ألانت وقال : أصنع طوربيدا ! بل أستطيع أن أصنع سفينة حربية ! أنت لا تدرين ما تقولين • الطوربيد لابد أن يكون به موتور ، يدفعه مستقيما نحو هدفه ، وفى العمق الصحيح • الطوربيد يتكلف ألف جنيه » •

قالت روز : « لكن كل هذه الأشياء من الممكن استغلالها لتحقيق ذلك • من الممكن أن نضع المتفجرات داخل الاسطوانات ، ثم نثبتها فى مقدمة الزورق ، ثم نندفع به تجاه جانب السفينة ، وبالتالى سوف تنفجر مثل الطوربيد » •

قال ألانت : « لا بأس بذلك ، لكننى لا أدرى لماذا نحن فى حاجة الى طوربيد ، طالما لا يوجد سوى زورقنا

على سطح النهر ، ولنفرض أننا صنعنا الطوربيد ، فماذا سيحدث بالنسبة لنا ؟ سينفجر هذا الزورق ونحن معه . فكرى ثانية ، يا آنسة ! » .

كانت روز تعرف تماما لماذا هى فى حاجة الى طوربيد ، ولم يكن يهمها أن تنفجر معه . لو أنها ماتت من أجل تحقيق ضربة لانجلترا ، فسـوف تذهب الى الجنة بالتأكيد وتنال تاجا ذهبيا . لكن الأمل فى الجنة والتاج الذهبى ، لا يمكن أن يدفعا ألانت للاندفاع تجاه الموت منفجـرا ، خاصة وأنها كانت تعرف شـيئا عن حياته المبكرة ، مما كان يقوله عنه صامويل ، وعـدم تأكده من أنه سيذهب الى الجنة . وبالتالى يجب عليها التفكير فى اجابة أخرى لذلك .

ـ « ولماذا يتحتم علينا أن نكون فى الزورق . من الممكن أن نعد كل شىء ثم نوجه الزورق ونطلقه تجاه السفينة الأخرى » .

قال ألانت : « عظيم ... ، هذا يجدى . ومن الممكن عمل فتحات فى مقدمة الزورق ندخـل فيها الاسطوانات ، وتكون منخفضة على قدر ما يمكن قرب الماء . وأنا فى استطاعتى صنع أداة التفجير » .

قالت روز : « رائع • سوف نتجه الى البحيرة ونفجر « اللويزا » •

ـ « لا تكونى حمقاء ، يا آنسة • لا يمكن أن نفعل ذلك ، لقد أخبرتك بذلك • حقيقة لا يمكن • لا يمكن أن نمضى عبر النهر » •

ـ « لكن سبنجلر فعل ذلك » •

ـ « فى قارب صغير » •

ـ « وهذا يؤكد ، امكانية قيامنا بذلك أيضا » •

بدت فكرة روز بالنسـبة لألانت كحلم امـرأة مجنونة • لكن الجزء الأول من الخطة بدأ واقعيا وهو امكانية صنع الطوربيد • فباستطاعته أن يصنع أداة التفجير ، ويملأ الاسـطوانتين بالمتفجرات ، اللتين تستطيعان وضـع نهاية لأى سفينة أخرى • لكنه لم يتصور امكانية المضى عبر نهر ألانجا ، وبالتالى لن تكون هناك فرصة لاستخدامهما •

كان ألانت يتوقـع ، أنه بعـد عبورهما جنـدلا أو جندلين مائيين ، سوف تكتشف روز حماقة فكرتها ، وأنه من الأفضل لهما أن يجلسا مستريحين فى انتظار العون من سبيل آخر • أو من المحتمل أن تدمر « الملكة الأفريقية » دون أن يفقدا حياتهما • أو ربما يتعطل

الموتور ، بسبب قدمه ، ولا يمكن اصلاحه بأى شكل من الأشكال ٠

أخذ ألانت يفكر : « ٠٠٠ وعلى أى الأحوال ، النهر يمتد لمسافة مائة ميل هادئة قبل أن يصل الى منطقة المنحدرات ، وبالتالى لا داعى لأن أتعب نفسى لمدة أسبوع حتى يحل الأسبوع القادم » ٠

ثم قال ألانت : « كما ترغبين ، يا آنسة ، لكن لا تلومي الا نفسك » ٠

جلس بجوار المحرك وأشعل سيجارة أخرى ٠ ثم لمح قدمى روز ٠ فرفع بصره فرآها واقفة فى مواجهته كما لو أنها تترقب شيئا ٠ تطلع الى وجهها ٠

قالت : « هيه ! ألا نبدأ فى المسير ؟ » ٠

ـ « ماذا ، الآن ، يا آنسة ؟ » ٠

ـ « أجل ! الآن ! هيا » ٠

ـ « لم يبق على نهاية النهار سوى ساعتين ، يا آنسة » ٠

قالت روز : « يمكننا أن نقطع مسافة طويلة خلال هاتين الساعتين » ٠

فقال ألانت : « ينبغى على أن أسـخن الغلاية ثانية » .

أضـاف مزيدا من الخشب الى النـار ، وجذب الخطاف وادار مروحة الدفع . شرعت روز فى مراقبته ، فقد كانت تريد أن تعرف كل شىء عن هذا الزورق .

امسكت بالدفة وبدأت تتعلم كيف تسير الزورق . كان عليها أن تقود الزورق فى مجار ضيقة ، وتتجنب الأماكن ذات المياة الضحلة ، وكذلك فروع الأشجار التى تعترض طريقها والنباتات المائية التى من الممكن أن تتشابك . مع مروحة الدفع . كانت تتطلع الى الأمام بعينين مزمومتين . وأخيرا وصلا الى منطقة واسعة من النهر .

كان ألانت مشغولا جدا بمراقبة المحرك ، نظرا لقدمه وسوء استخدامه . فقد كان البخار يتسرب من الوصلات السيئة الصنع . كان ينتقل من جزء الى جزء لتزييت الأماكن المتحركة . كان من الرائع حقا أن تكون لديه القدرة ليحضر القارب من لمباسى الى مكان البعثة التبشيرية دون مساعدة أى أحد من أصدقائه الأفارقة ، ويفعل كل هذه الأشياء ويقود الزورق أيضا .

قال الانت : « لابد من الحصول على المزيد من الخشب ، ينبغى أن نتوقف وننزل الخطاف فورا » .

تبين لروز أن الشمس كانت فى مستوى أدنى من قمم الأشجار ، فقالت على الرغم منها : « لا بأس ، سوف نجد مكانا ما لنقضى فيه الليل » .

ـ « اتجهى الى ذلك المكان ، يا آنسة ! » .

حركت روز الدفة ومضى الزورق الى قناة ضيقة . متفرعة من مجرى جانبى يؤدى الى نهر كبير .

ـ « هنا ، حركى الدفة هذه الناحية » .

كانت القناة مغطاة بفروع الأشجار الضخمة ، أما جذور الأشجار فكانت تشكل جانبى القناة ، ولذا فقد أصبحت ظاهرة ونظيفة بسبب جريان المياه البنية اللون .

أنزل ألانت الخطاف من مقدمة الزورق ، ثم أسرع عائدا وأغلق البخار . أدركت روز لماذا يكون للزورق مقدمة عالية فوق مستوى المجرى ، كما استطاعت أن تتصور ما يمكن حدوثه لأى زورق ، لو أنه سار عبر ممر مائى ضيق ، فقد يحدث أن تتخطى المياه الجوانب وتملأ الزورق .

عاد ألانت وجلس .

ـ « أووف ! عمل شاق ، أليس كذلك ، يا آنسة ؟
أنا في حاجة الى الشرب » •

أخرج فنجانا كبيرا قذرا ، ثم واحدا آخر •

ـ « هل لك في شراب ، يا آنسة ؟ » •

قالت روز : « كلا ! » • وأدركت أنها سوف تلتقى « بشرور الشراب » • كما كان صامويل يسميه دائما جذب الانت صندوقا من تحت المقعد : وتناول زجاجة من سائل صافه ، مثل الماء •

سألته روز : « ما هذا ؟ » •

ـ « شراب الجن ، يا آنسة » •

كان صامويل يقف دائما ضد الشرب • وكان يقول : « انه يجعل الرجال مجانين • انه يدمر أجسادهم وعقولهم • انه سبب كل الشرور » •

ملأ ألانت فنجانا بماء النهر ، ثم صب قليلا من ذلك الماء فوق الجن الموجود في الفنجان الثاني • راقبته روز ، كانت تريد أن تمنعه ، أن ترجوه ألا يفعل ذلك ، بل كانت تود أن تبعد ذلك الشيء الشرير عنه • شرب ألانت الجن ، وبدا مستمتعا به •

قال ألانت : « هكذا أفضل » • ووضع الفنجان جانبا • توقعت روز أن يشرع فى الغناء أو يتصرف مثل رجل مجنون • لكنه لم يفعل • كل ما قاله « الآن أستطيع أن أفكر فى العشاء • هل ترغبين فى فنجان من الشاى ، يا آنسة ؟ » •

فنجان من الشاى ! الفكرة ذاتها ملأتها بالنشوة • فقد تعودت هى وصامويل أن يشربا اثنى عشر فنجانا من الشاى كل يوم • واليوم لم تشرب الشاى ، كما أنها لم تتناول أى طعام ، لكن الطعام لايهـم • الشاى ! فنجان من الشاى ! فنجان من الشـاى ! ست فناجين من الشاى الثقيل سوف تعيد النشاط الى جسدهـا المتعب •

فقالت : « نعم ، كم أرغب فى فنجان من الشاى » •

ـ « الماء ما زال يغلى فى الغلاية • لن يستغرق الأمر دقيقة » •

كان اللحم المعلب سائلا بسبب الحرارة • والخبز الأفريقى الأسود يبعث على الاكتئاب ، لكن الشاى كان رائعا • أضافت روز شيئا من اللبن المعلب اليه ، رغم أنها تكرهه : فقد كان لديهم أبقار فى مقر البعثة •

لكنها شربته ، فنجانا بعد فنجان ، وما أن شربته حتى شعرت بالحيوية والراحة تعودان اليها ٠

قال ألانت وهو يصب مزيدا من اللبن فى فنجان شايه الأسود : « هؤلاء البلجيكيون الذى كانوا فى المنجم ، لا يشربون الشاى أبدا ٠ لا يعرفون ما هو مفيد بالنسبة لهم » ٠

قالت روز وهى تهش الذباب ، الذى يزعجها لدرجة الغضب : « أجل » ٠

قام ألانت بغسل الفناجين والأطباق ٠ ثم قال بنوع من التردد : « أريد أن أستحم قبل أن أنام » ٠

ـ « وكذلك أريد أنا » ٠

ـ « حسن ، سأذهب الى مقدمة الزورق ٠ أما أنت فابقى هنا وافعلى ما تشائين ، يا آنسة ؟ » ٠

ذهب ألانت الى مقدمة الزورق ، وبعد مضى فترة قصيرة ، سمعته روز وهو يستحم ٠

جلست روز على حافة الزورق وأدلت بساقيها فى الماء ٠ وأخذ التيار السريع البارد اللطيف يجذب قدميها ٠ وسرعان ما انزلقت فى الماء من فوق حافة

الزورق بطول جسمها ، ويداها ممسكتان بحافته .
كان الأمر متعة كنعيم الجنة ! . وأفضل بكثير من استحمامها بمقر البعثة ـ في حوض استحمام حديدى صغير به ماء دافىء ، حيث كانت تخشى طوال الوقت احتمال تلصص أطفال القرية عليها من خلال الثقب الموجود في الحائط .

بعد ذلك بدأت تجذب نفسها خارج الماء ، لم يكن الأمر سهلا بسبب قوة جذب المجرى ، لكنها في النهاية كانت قادرة على سحب نفسها الى أعلى ، وألقت بنفسها على حافة الزورق . تنهدت وقالت لنفسها : « لقد انتابنى هاجس هادىء لأنادى على ألانت لمساعدتى ... كيف كنت أجرؤ على ذلك ! » .

ناداها ألانت : « هل انتهيت ، يا آنسة ! » .

ـ « نعم » .

أقبل وقال لها : « يمكنك أن تنامى هنا فى المؤخرة » .

ـ « وأين ستنام انت ؟ » .

ـ « سأجهز لى مكانا للنوم بين الصناديق فى المقدمة » .

ـ « ماذا ! فوق المتفجرات ؟ » •

ـ « نعم • انها لا تسبب أى ضرر ••• يمكنك أن تسحبى هذا الغطاء الثقيل فوقك ، فالجو يصبح باردا جدا فوق النهر قبيل الصباح » •

استلقت وأغمضت عينيها ، لكن كان يخيل اليها أنها ترى المياه المتدفقة • فكرت فى ألانت ، النائم على بعد أقدام منها ، ثم فكرت فى صامويل الميت • وتخيلت ضوء الشمس والظلال على الشاطىء ، عندما رسيا بالزورق لأول مرة •

بعد ذلك ! استغرقت فى النوم •

(٣)

المطـــــر

نامت روز معظم فترة الليـل • ثم أيقظتهـا العاصفة • كل ما حولها ضجة مخيفة ـ ضجة مرعبة • كان المطر ينهمر بالقدر الذى لا يسقط فيه المطر الا فى وسط أفريقيا • هبت ريح ساخنة دفعت بالمطر تحت المظلة • بعدها بدأ الماء يتساقط من خلال المظلة : على هيئة مساقط مياه صغيرة وملأت الأرضية حولها • رأت شـيئا يتحـرك فى الزورق : كان ألانت آتيا على يديه وركبتيه وهو يلملم ملابسه الداخلية على جسده • وصل الى جانبها ، فى الوقت الذى كانت المياه تتساقط بغزارة من المظلة على عنقه •

قال : « ياه ! » ثم انتقل الى مكان آخر • وظل ينتقل من مكان الى آخر ، لكن المياه المتدفقة كانت

تلاحقه أينما يذهب . كان يرتجف من البـرد عندما اقترب منها . ومدت هي ذراعيها لكي تضمه اليها مثل طفل ، لكنها خجلت من مجرد الفكرة التي دارت في رأسها ، لأن ألانت لم يعد طفلا ولا هي كذلك .

جلست وسألته : « ما الذي يمكن أن نفعله ؟! » .

قال ألانت : « لا .. لا شيء ، يا آنسة ، لأن ذلك لن يستمر طويلا . كان يهرب من الميـاه المتساقطة فتلاحقه في المكان الذي ينتقل اليه . لو أن صامويل كان مكانه لأصبح عصبيا جدا ، لكن ألانت تعلم خلال حياته الصعبة أن يعاني في صمت .

قالت روز : « يا لك من مسـكين ! أنا آسفة جـدا ! » .

لكن ألانت ظل ينتقل من مكان الى آخر بقلق وعدم ارتياح .

وانتهت العاصـفة بسرعة كما حلت بسرعة . سـكنت الريح . وطلع النهار بقوة . ولوهلة سـعدا بحرارة الشمس . وبدأ البخار يتصاعد من فوق سطح الماء حولهم .

سألته روز : « ما الذي ينبغي علينا عمله قبل أن نتحرك ؟ » .

ـ « لابد من الحصول على شيء من الخشب »
بعدها نفرغ الماء من الزورق بواسطة رافعة الماء » ٠

قالت روز : « أرنى كيف تستخدم » ٠

قال ألانت : « ضعى إسفل الرافعة على أرضية الزورق بجوار الجانب ، ثم حركى يد الرافعة الى أعلى وأسفل ، فتنسحب الميـاه من أسـفل الزورق من خلال الرافعة ، وتسقط فى النهر من فوهة الرافعة » ٠

قالت روز : « اذهب أنت لاحضـار الخشب» وسأقوم أنا برفع الماء » ٠

لكن الرافعة كانت قديمة ، ومن الصعب تشغيلها شأنها شأن أى شيء فى الزورق ٠ أحيانا كانت تتوقف بسبب الرواسب ، ولا تسحب المياه ، وأحيانا تعانه وترفض يد الرافعة أن تتحرك ٠ كأنما ركبها شيطان ! كرهتها روز أكثر من أي شيء كرهته فى حياتهـا ٠ وأصبح وجهها أكثر وأكثر احمرارا أثناء قيامها بتشغيل هذه الرافعة الشيطانية ٠

بعد مضى فترة من الزمن ظهر ألانت على الشاطىء والقى بحمل من الخشب ٠ ثم أحضر حملا آخر ، وآخر ٠

ثم بـدأ ينقله الى الزورق • تركت روز الرافعـة وساعدته • بعد ذلك ذهب ليحضر المزيد من الخشب • واستأنفت روز رفع المياه ثانية •

أخيرا لم يبق الا القليل جدا من الماء فى أرضية الزورق • وعندمـا تم نقل كل الخشب الى الزورق توقفا وتطلع كل منهما للآخر •

قالت روز : « يكون من الأفضل لو بدأنا المسير »•

فقـال آلانت وكلـه أمل : « والافطـار ؟ ••• والشاى ؟ » •

قالت روز : « يمكننا أن نفعل ذلك أثناء سيرنا • هيا بنا » •

قال لنفسه : « بها شيء من الجنون • والشيء الأكثر صعوبة هو مناقشتها لتجعلهـا تغير رأيهـا ، ولا مناص من اطاعتها فى الوقت الحالى » • ومن ثم هيأ نفسه لاشعال النار تحت الغلاية ، ثم واصل عمله الذى لا ينتهى فى تزييت أجزاء المحرك •

كانت روز سعيدة برؤية آلانت وهو يتعامل مع الزورق عندما أخرجه من القنـاة الضيقة التى رسـا فيها •

في البداية حاول جذب الخطاف ، لكن التيار كان يتدفق بسرعة شديدة · فبدأ بتشغيل مروحة الدفع ، حتى تخفف شدة الجذب على سلسلة الخطاف ثم رفعه ، وأسرع عائدا الى المحرك ، وزاد من سرعة مروحة الدفع قليلا فارتفع الزورق قليلا ، وحمله التيار برقة عبر المجرى فى الوقت الذى كان المحرك ما زال يدفعه الى الأمام ·

لم تستطع روز قيادة الزورق عند عودته · فجاء ألانت وأخذ منها الدفة ·· وعندما وصلا الى مجرى النهر ، أسرع الى المحرك ، وجعل مروحة الدفع تعمل فى الاتجاه المعاكس ، لدفع الزورق الى الخلف · اندفع عائدا الى الدفة وجعل الزورق يسير بخلفيته حتى وصل الى مجرى النهر : ثم اندفع عائدا وجعل مروحة الدفع تدور فى الوضع الطبيعى ، ثم عاد الى الدفة موجها الزورق فى اتجاه المجرى ·

استطاعت روز أن تدرك كيف استطاع ألانت أن يفعل كل ذلك بمهارة شديدة · ابتسمت ، وهنا سلم ألانت الدفة الى روز ، وأسرع عائدا الى المحرك الذى كان يعانى من بعض الاضطراب ·

عندما انتظم المحرك ، أصبح فى امكانه أن يعد الافطار · أحضر الافطار الى روز ، التى لم تلحظ على

الاطلاق يديه الملطختين بالشحم والزيت ، وشرعت تأكل وتشرب الشاى ، وهى تقبض على الدفة فى منتهى السـعادة •

تعلمت روز عدة أشياء عن حركة الماء ، العلامات التى تشـير الى عمق الماء ، أو أين توجد الصخور • لم تدرى كيف يبدو شكلها وقد لفحتها الشمس ، وهى تقف أمام دفة الزورق بفمها المزموم وعينيها الضيقتين •

كانت درجـة الحرارة تعظم كلمـا ارتفعت الشمس ، والنهر أصبح متسعا بعرض نصف ميل • وفون هانكن وجيشـه كانا هنـاك فى مكان ما على الضـفة الأخرى من النهر ، ولابد أن رجاله يراقبون النهر • وقف ألانت وأخذ يتطلع بقلق ناحية الضفة الأخـرى •

أدركت روز الموقـف ، فانحـرفت « بالملكة الأفريقية » الى اتجـاه بعيد حيث أمكنها رؤية جزيرة مستطيلة ضيقة • ابتعدا عن ضوء الشمس ووصلا الى منطقة الظل • وبدأت المياه خلف الزورق تنكسر فى موجات طويلة على الشـاطىء • أما النباتات المائية الملاصقة للشاطىء فقـد انحنت فوق رأسيهما عندما اقترب الزورق منها وهو يمر بجانبها •

ثم انقسم المجرى الى ثلاث قنوات ، وكان لزاما على روز أن تقرر بسرعة الى أى قناة تتجه .

كانت تلك القنوات التى تقع ما بين الجزر ، أماكن هادئة . حتى الطيور بدت هادئة فى ذلك الجو الذى يفح بالحرارة والبخار . وبدا كما لو أن ضجة محرك « الملكة الأفريقية » كانت أول صوت يسمع هناك . ووجدت روز نفسها تتحدث فى همس .

كان اليوم الأول أشبه جدا بكل الأيام التى قضياها فوق النهر حتى وصلا الى منطقة المنحدرات . أحيانا كانت تعترض طريقهما بعض الأشجار النامية فى المجرى ، الأمر الذى كان يحتم عليهما العودة ليجدا طريقا آخر يمضيان من خلاله .

وأحيانا أخرى كان المجرى يمتلىء بالنباتات المائية التى كانت تلتف حول مروحة الدفع ، وكان يتحتم على ألانت أن يخلع ملابسه وينزل الى الماء ، ليخلص المروحة منها : بعدها كانا يسيران الزورق بالمزراة .

وفى بعض الأحيان كان يتحتم عليهما أن يدفعا الزورق فوق المناطق الطينية . ونتيجة لاحتكاك قاع الزورق بالنباتات العفنة ، كانت تبعث رائحة كريهة تملأ المكان . وأحيانا تفاجئهما العواصف ، وينهمر

المطر ، وتملأ المياه أرضية الزورق ، ويتحتم على روز أن تقوم بضخ المياه بتلك الآلة الشيطانية • وكانت روز تشكر الله أن هذا الوقت لم يكن فصل الربيع ، الذى تستمر فيه العواصف مدة أطول وبشكل أعنف • أما تلك العواصف اليومية الصغيرة فلا تعد شيئا !

شعرت روز بأنها على قيد الحيـــاة حقيقة لأول مرة فى حياتها • لم تدرك ذلك بعقلها ، لكن جسدها أنبأها بذلك • لقد قضت عشر سنوات فى تلك البعثة ، لكنها لم تعش الحياة خلال تلك السنوات • لم تقرأ أبدا أى كتب تفيدها بشىء عن وسط أفريقيا ، ذلك المكان الرائع المثير •

لم يكن صامويل يهتم بأى شىء سوى البعثة • لم يكن يعرف أى شىء آخر • لا شىء عن النبـــاتات والحيوانات والطيور والحشرات •• لا شىء • وعندما دمر هانكن مقر البعثة ، لم يكن لدى صامويل أى شىء آخر يعيش من أجله •

أما الآن ، فقد اختلف الوضـــع ! فهذه الخطة للذهاب الى البحيرة لتحريرها من الألمان كانت كفيلة لتجعل أى انســـان سعيدا ! وهناك النهر وكل يوم بأخطاره ومعوقاته الدائمة التغير •

ان هذه الأيام القليلة من الحيوية والانطـــلاق ، عوضت روز عن ثلاثة وثلاثين سنة من المعاناة •

(٤)

شراب الجـن

عندما حل المساء ، بدا ألانت صامتا كما لو كان يعانى من حزن دفين ، لم يكن هناك شـعور بالصحبة بينما كانا يشربان الشاى • وعندما انتهيا من شرب الشاى ، أحضر ألانت زجاجة جن وصب لنفسه كأسا ، الشراب الثانى فى هذا اليوم • ظل صامتا ، ثم ملأ كأسه ثانية ، ثم ثالثة ، ويبدو أن الشراب جعله فى حالة أسوأ •

كانت روز تراقبه • يجب أن تفعل شيئا لرفع معنويات رفيقها ومعينها • هناك متاعب قادمة ، وهذا الشراب فى صمت لن يؤدى الا ازدياد الحالة سوءا •

سألته بلطف : « ماذا بك ، يا ألانت ؟ » •

عاود ألانت الشرب وتطلع الى أسفل عند قدميه .
اقتربت منه روز أكثر .

قالت : « قل لى ، ماذا بك ؟ » .

أجابها ألانت : « لن نمضى أبعد من ذلك عبر النهر . لقد مضينا بما فيه الكفاية . ان فكرة الذهاب الى البحيرة فكرة مجنونة » .

قالت : « لن نمضى أكثر من ذلك !! بل يجب أن نفعل ، يا ألانت ! ما السبب ؟ » .

ـ « النهر هو السبب . ومنطقة الشـــونا . لو مضينا غدا ، فسوف نصل منطقة المنحدرات مساء غد . لكن قبل أن نصل الى المنحدرات ، سوف نمر على منطقة الشونا . لقد غابت منطقة الشونا عن ذهنى تماما حتى ليلة أمس » .

ـ « لكن لن يحدث لنا شىء عند منطقة الشونا » .

ـ « هيه ! كيف يتسنى لك أن تعرفى ؟ . اذا كان هناك مكان على النهر سيراقبه الألمان ، فلن يكون الا منطقة الشـــونا . فهناك يوجد الطريق القادم من الجنوب المؤدى الى النهر . قبل الحرب ، كانت القوارب تحمل الأفارقة عبر ذلك الطريق . سيكون هناك رجال للمراقبة من قبل الألمان ، ويمكنك رؤيتهم وأنت فى

النهر • لأن الشونا تقع فوق تل • واتساع النهر هناك نصف ميل فقط : وهؤلاء الرجال مسلحون » •

ـ « اذن دعنا نمر عليها أثناء الليل » •

ـ « لن يجدي ذلك لأن منطقة المنحدرات تبدأ من عند منطقة الشـــونا • لا يمكننا المضى عبر هذه المنحدرات فى الظلام • أنا لن أذهب الى هذه المنطقة أبدا • لم يكن ينبغى علينـــا أن نتوغل الى هذا الحد مثلما فعلنا • ذلك حمق وجنون • من الممكن أن يعثروا علينا لو أنهم خرجوا بقارب من الشونا • سأعود غدا الى المكان الذى كنا فيه بالأمس • انه أأمن مكـــان بالنسبة لنا » •

شرب مزيدا من الجن ليظهر لها أنه كان يعنى ما قاله •

شحب لون روز من الغضب ، لكنها أخذت تتحدث الى ألانت بهدوء وحاولت أن تغير رأيه • لكن بلا فائدة • فقد جلس صامتا ولم يبذل أى محاولة للرد عليها •

جلست روز فى مؤخرة الزورق ، بينما واصل ألانت الشراب • كانت وحدها فى زورق صغير ، مع رجل سكران • جلست فى الظلام وهى على استعداد للدفاع عن حياتها أو أى هجوم ضدها • كانت كل حركة من ألانت تجعلها على أتم استعداد • مرت بها فترة عصيبة ، عندما كان ألانت يحاول الوصول الى تحت

المقعد لاحضـــار زجـاجة أخرى ، فاعتقدت أنه قادم نحـــوها .

لكن ألانت لم تـــكن لديه أية فكرة عن مهاجمة روز . كان يفكر فى أمه ، وفى أصدقائه بلندن عندما كان صبيا ، ثم بدأ يبكى . بعدها بدأ يغنى . ثم راوده النعاس ... ونام ، وسمعت روز تردد أنفاسه . وفجأة حدثت ضجة ، فقفزت روز واقفة على استعداد ، لكنها اكتشـــفت أن ألانت قد ســقط على الأرض بكاســـه وزجاجته ، وملأت رائحة الجن المكان .

وواصل ألانت النوم .

لم تنم روز . فقد ظلت يقظة بسبب غضـــبها وكراهيتها لألانت . أحست أنه لم يعد هناك أمل . فقد كانت تعلم أنه ليس فى استطاعتها أن تترك ألانت على الشاطىء وتمضى بالزورق وحدها ، لكنها تريد المضى ، كانت تريد ذلك أكثر من أى شىء على الأرض . لم يعد هناك شىء تعيش من أجله ، اذا لم تستطع الوصول « بالملكة الأفريقية » الى البحيرة لتوجيه ضربة من أجل انجلترا . أحست بكراهيـــة لألانت ! . وأثنــاء مرور الليل ، قررت أن تجعله يدفع ثمن ذلك ! سوف تجعله يندم على أنه قد ولد !

قبيل الصباح نامت روز ، لكن النوم لم يهدىء من غضبها وكراهيتها .

كشف ضوء النهار عن ألانت مســتطرحا على الأرضية • كان وجهه كئيبا ، وتصدر من فمه أصوات مزعجــة •

خطت روز من فوقه • وأخذت صـندوق الجن ، وتناولت زجاجة وفتحتها • سكبت الجن فى النهر ، ثم أسقطت الزجاجة •

فى المرة الثالثة التى فعلت فيها ذلك ، سمع ألانت صـوت قرقرة ســكب الجن ، ففتح عينيه وحاول أن يجلس •

غمغم فقط : « أووه ! » •

كانت رأسه ثقيلة من أثر السخونة ، فلم يستطع أن يرفعها ، ولم تحتمل عيناه الضوء •

لم تعر روز أى اهتمام لتوجعاته • وأفرغت آخر زجاجة من الصندوق • ومضت لتحضر الصــندوق الثانى • فتحت الصندوق بعنف ، فاستدار ألانت ونظر اليها • ثم جلس بصعوبة شديدة • نظر اليها ولم يدرك ماذا كانت تفعل •

غمغم ثانية : « أووه ! » •

لم تضيع روز أى وقت ولم تأخذها شفقة به ، واستمرت فى ســكب الجن فى النهر • نهض على



روز تسكب زجاجات الجن فى النهر

ركبتيه ، ثم ألقى بجسمه فوق حافة الزورق وأخذ يشرب من ماء النهر البنى اللون • شعرت روز أنه من الممكن أن يسقط ، لكنها لم تهتم • ثم جلس ساندا ظهره لحافة الزورق وبدا عليه أنه مريض ، وسرعان ما تقيأ كل الماء الذى شربه •

أسقطت روز آخر زجاجة فى النهر ، ثم عادت الى المؤخرة مارة بالقرب منه بما يسمح بلمسه ، لكنها لم تلق اليه بالا • وذهبت الى المقدمة واغتسلت ، ثم أعدت الافطار وتناولته • بعدها عادت الى المؤخرة ولازالت لا تعيره اهتماما أو توجه اليه كلمة •

أخرجت ملابسها المتسخة وغسلتها على حافة الزورق ثم نشرتها لتجف •

وجلست لا تفعل شيئا ، ولا حتى النظر الى ألانت •

كان ذلك بداية صمت عظيم •

خلال فترة الصباح لم ينتبه ألانت لما حدث ، لكن فيما بعد أصبح قلقا • وشعر فى ذلك الحين ، أنه ينبغى أن يغفر له لتناوله الشراب ، كان يريد أن يتكلم كثيرا ، كما كان يفعل عادة : لكنه ووجه بهذا الصمت الصعب الاحتمال •

قال : « أووف ! الجو حار ، أليس كذلك ؟ » • لم تعره روز أى انتباه •

ـ « من الممكن أن نتقبل عاصفة أخرى • فهى على الأقل تشعرك بالبرد لدقيقة » •

لا جواب • تناولـت روز ابرتهـا وبدأت تصلح ثيابها • الخياطة بالابرة عون عظيم للمرأة في معركتها مع الرجل • كانت منكبة على عملها ، ومن ثم لم يستطع أن يرى وجهها ، اذ يبدو أنها كانت منشغلة جدا فى عملها فقط ـ وليس به •

ـ « ألن تردى على يا آنسة ؟ •• أنا آسف لما فعلته ليلة أمس •• لقد جعلتنى أدفع الثمن الآن ، ألم تفرغى كل ما تبقى من شراب الجن » •

لا جــــواب •

قال غاضبا : « لا بأس ! خذى الأمر بالطريقة التى تريحك » • ثم بدأ يتحرك فى أنحاء الزورق بقلق • ثم شرع فى تنظيف المحرك وتزييته • بعد ذلــــك • اغتسل ، ووضع شيئا من زيت المحرك على شعره ، وشرع يمشطه • ثم رتب كل شيء وجلس •

بعد مضى خمس دقائق ، نهض على قدميه ثانية ، وأخذ يتحرك بقلق ، لا يعرف ماذا يفعل • وصمت النهر يحيط به من كل مكان •

صمت ! صــــمت ! كاد ذلــــك يدفع به الى الجنــــون •

(٥)

منطقة الشونا

بذل ألانت عدة محاولات ليجعل روز تتكلم ، نجحت محاولة واحدة فقط فى جعلها تنطق بأى شئ •

قالت : « أنا أكرهك ، فأنت خائف وتقول أكاذيب ، وأنا لن أتكلم معك على الاطلاق » •

كانت روز فى البداية ممتنعة عن الكلام مع ألانت لأنها كانت غاضبة : ثم بدأت تكتشف أن الصمت من الممكن أن يجعله يطيعها • كان مصدر خوفها الوحيد ، هو احتمال قيام ألانت بمهاجمتها ، لكنها كانت امرأة قوية ، وللاحتياط أخرجت سكينا صغيرا من حقيبتها ، وجعلته جاهزا للاستخدام اذا دعت الضرورة لذلك •

لم يكن لدى ألانت أى خاطر عن مداهمتها • وربما لو كان تبقى أى شئ من شراب الجن ، لكان من المحتمل

أن يفعل ذلك ، لكنه الآن فى النهر • لم يستطع أن يدرك ما الخطأ الذى ارتكبه • فى البداية اعتقد لأنه سكر • كانت خطتها للمضى عبر النهر ، خطة مجنونة للغاية ، وكان من الصعب بالنسبة له أن يفكر فيها • لكنه أخيرا أدرك أن روز تعنى ذلك حقيقة ، وأن رفضها الكلام معه او النظر اليه بمثابة ضغط عليه حتى يوافق • وهكذا ظل يعانى من الصمت لمدة أربع وعشرين ساعة أخرى •

كان الصمت من أحد الأشياء التى لايستطيع ألانت أن يتحملها • فعندما كان طفلا عاش فى مناطق مزدحمة ، وفيما بعد بين ضجيج الماكينات والمحركات • ربما يكون قد تحمل صمت النهر ، لكن بحلول صمت روز أصبح الأمر أسوأ • ومس كبرياءه •

لم يستطع النـــوم • وظاهرة عدم النوم كانت ظاهرة جديدة بالنسبة لألانت ، أجهـدته الى حد كبير • فقد كان يستلقى يقظا طول الليل ، يتقلب على فراشه فوق صناديق المتفجرات • نهض وأخذ يدخن السجائر • حاول أن ينام ثانية • وفكر بجدية ان هناك خطأ جسيما ، قد ارتكبه •

فى الصباح ووجـــه بيوم آخـــــر من الصمت فاستسلم •

قال : « دعينا نسمع ماذا تريدين فعله ، يا آنسه • قولى لى وسوف ننفذه » •

قالت روز : « أريد المضى عبر النهر » •

وتراءى لألانت مرة ثانية الموت فى منطقة المنحدرات، أو الموت تجوالا فى الغابات ، أو احتمال أن يقعا أسيرين فى أيدى الألمان • كان خائفا ، وأنتـــابه شعور بعـــدم استطاعته البقاء فى هذا المكان دقيقة واحدة ، ولابد أن يبتعد عنه •

فقال : « لا مانع ، يا آنسة • هيا بنا » •

ابتعدت « الملكة الأفريقية » عن حـافة النهر الى المجرى المتسع • كانت هناك ريح وأمواج عاليـــة جعلت الزورق يعلو ويهبط ، والماء يتصاعد فوق المقدمة وفوق الغلاية الساخنة • جلســت روز على الدفة ، وكلهـــا سعادة : فقد كانا فى طريقهما ثانية لمساعدة انجلترا •

صـــاح ألانت : « هذا هو التل الذى تقع عليـــه الشونا » • والشونا قرية تقع بين تلين • والنهر يشكل منحنى حول التلين • ويجرى فى انحناءة شديدة أقرب الى نصف دائرة •

وعندما أصبحت « الملكة الأفريقية » في مواجهة الشونا ٠ بدأ ألانت في مراقبة المحرك حتى يكون أداؤه على أفضل وجه ٠ من الأفضل له أن يقتل على أن يؤخذ أسيرا ٠ اختبأ خلف كومة من الخشب على أمل أن تمنع طلقات الرصاص من أن تصيبه ٠

شاهد الجنود الأفارقة من فوق التـــل الزورق قادما : أسرعوا باحضار الضابط الالمانى ، الذى قرر أن « الملكة الأفريقية » هي الزورق الوحيد الموجود على سطح النهر ٠ وكانت لديه أوامر خاصة من فون هانكن للبحث عنــــه ٠

فكر الضابط وقال لنفسه : « يبــدو أن أعضــاء البعثة وذلك الرجل من لباسى قد تعبوا من الاختفــاء ، أو ربما ليس لديهم مزيد من الطعام ، فأتوا ليسلموا أنفسهم كأسرى ٠ أجل ، هذا قصدهم ٠ ليس هناك شك في ذلك ، انهم يسيرون بحذاء الشاطىء الآخر ، ويبدو أنهم قادمون للرســـو أسفل الشونا في المنطقة المنخفضة حول التل ، لأن المنطقة فيما بعد الشونا تؤدى الى منطقة المنحدرات ، ولا يستطيع أى أحـــد الذهاب بزورق الى هناك » ٠

اتجه الى الناحية الأخرى من التل . وتبين له أن هولاء الحمقى مازالوا يسيرون بحذاء الشاطىء الآخر ، ولم تبدر منهم أى اشارة للتوجه ناحيتهم .

فقال : « يعلم الله ماذا ينوون أن يفعلوا ! لكن لابد من ايقافهم » .

صاح فى جنوده الأفارقة الاثنى عشر ، فأسرعوا قادمين اليـــه .

ـ « استعدوا لاطلاق النار ! ... »

قاموا بحشو البنادق ، وانبطح بعضهم ليأخذ وضع الاطلاق .. وظل الآخرون واقفين .

ـ « اضرب ! »

واصل الزورق سيره . فقــال الضابط لنفسه : « لابد أن الأوغاد سمعوا الطلقات ، التى سقط بعضها فى مكان ما بجوارهم » .

ـ « دفعة ثانية ! »

تساقط المزيد من الطلقات ، لكن لم يتغير شىء من وضع الزورق .

فأمسك بندقية وانطرح أرضا ، حشاها وصوب . كانت الشمس في عينيه ، فأفقده ذلك تحديد موقع مظلة الزورق البيضاء خاصة وأن المسافة كانت بعيدة جدا .

أطلق دفعة ثانية ، ثم حشا البندقية ، وأطلق مرة أخـــرى . لكن الزورق ظل مستمرا فى سـيره ، وتوارى بين الأشجار فكانت بمثابة ســـاتر بينه وبين الزورق ، قفز واقفا وأخذى يجـرى وجنوده يتبعونه . ظل يجرى عبر القرية ، ثم عبر ممر الغابة الصاعد الى الجانب الآخر .

وعندما وصـل الى القمة ، أمكنه التطلع الى الجزء الأخير من النهر الذى تليه منطقة الجنادل . كان الزورق متجها اليها . أطلق النار مرتين ، لكن لم تكن هنـــاك فرصة لاصابته . بعد ذلك رحل .

« سيغضب فون هانكن جـدا عندما يسمع بفقدان الزورق . لكن ماذا كان بامكانى أن أفعل أكثر من ذلك ؟ لم يكن أحد يتوقع ذلك : لايمكن لأحد ، الا اذا كان مجنونا أن يمضى بزورق الى منطقة الجنادل . من المحتمل أن يكونوا ماتوا الآن ، تمزقوا قطعا بين تلك الصخور ».

وبصفته ضابطا عاد الى الشـــونا وهو متردد فى كتابة تقرير بما حدث لفون هانكن .

واصـــل حديثه لنفســـه : « بالتأكيد سيعتبر فون هانكن أنها غلطتى · من الأفضل ألا أذكر شيئا عن ذلك · لقد مضى الزورق بعيدا ، ولابد أن هؤلاء الحمقى قد ماتوا ·· ، ذلك المبشر الأحمق ، وأخته الشمطاء ، وذلك الانجليزى الذى يعمل فى المنجم ، ان وجهه أشبه بوجه الأرنب ·· لن يشعر العـــالم بخســـارة كبيرة لفقدانهم » ·

لكنـه شعر بالأسى حيالهـــم ـ هؤلاء الشيطانين المســـاكين !

(٦)

الجنـــادل

كانت الشونا تقبع فوق التل ، والنهر يحوطهـــا بانحناءة كبيرة • قادت روز « الملكة الأفريقية » عبر هذه الانحناءة حتى خرجت منها • كان النهر يتدفق بسرعة أكثر مما كان عليه من قبل ، كلما اقترب من منطقـــة الجنادل ، ثم زادت سرعة تدفقه أكثر جدا خارج نطاق المنحنى •

فجأة سمعت روز صوت طلقات الرصاص •

قال آلانت وهو يقفز وســـط الزورق : « لقـد اكتشفونا ! لكن روز لم تعــره انتبـــاها ، فقد كانت مسيطرة على « الملكة الأفريقيـــة » فى الميـاه السريعة بمحاذاة ضفة النهر •

انهالت المزيد من الطلقات ، لكنها لم تصب أحدا منهما • حركت روز الدفة قليلا حتى تقترب من وسط

المجرى لتعبر انحناءة النهر الثانية . كانت روز متوحدة تماما مع الزورق أثناء قيادتها له ، لدرجة أنها لم تسمع الطلقة التى سقطت بالقرب منها جدا . بعد عدة لحظات أصابت طلقتان المدخنـــة . فاستـدار ألانت قافزا . أما روز فامسكـت بالدفة لتجعـــل الزورق يمضى فـى طريقه . بعدها اختفت الشونا خلف قمة التل . فوقف ألانت وهو يصيح صيحات النصر ، ويضحك ساخرا من العدو .

صاحت روز : « المحرك ! افحص المحرك ! » .

كانا طائرين فى هذه اللحظة فوق صفحة النهر . ثم أصبح المجرى ضيقا أكثر فأكثر ، والتيـــار كذلك أصبح قويا جدا . وهنا وهناك كانت توجد مناطق مياهها هوجاء ، اشارة لوجود صخور مختفية تحتها . استطاعت روز قيادة الزورق بعناية حتى خرجت من هذه المنطقة الوعرة . ثم قابلها منحنى آخر ، فجذبت الدفة بالعكس. لم تستطع رؤية ما أمامها ، لأن المظلة حجبت عنها الرؤية. قفزت الى أعلى وهى تمسك الدفة بركبتهـــا اليمنى ، ثم انتزعت المظلة بيدها اليسرى بعنف من فوق دعائمها . لم يلحظ أى منهما الطلقتين الأخـيرتين اللتين أطلقهمـــا الضابط نحوهما .

تأرجحت « الملكة الأفريقية » وهي تعبر المنحنى :
وانحدرت عندما قابلت المياه الجارفة القوية في المنحنى .
كانت هناك صخور حولهما ، تزيد حولها مياه بيضاء .
جذبت روز الدفة جانبا وبدت الصخور كما لو أنها تندفع بجانب الزورق . وبدت أمامها كما لو كانت جدارا يسد النهر .. لكنها رأت قنـــاة واسعة الى حد ما فوجهت الزورق ناحيتها . ففوجئت بمسقط مائي طويل أخضر اللون . وما ان ارتفعت مؤخرة الزورق ليسقط مع ماء الشلال ، حتى شاهدت روز صـــخرة سوداء تعترض طريقها الى القاع ، ومن الممكن أن تفصـــل قاع الزورق لو لمسته ، فتحتم عليها أن تحافظ على سير الزورق في خط مستقيم للحظة ، ثم ألقت بنفســها على الدفة لكي تتفادها . وبدا للحظة كما لو أن المياه تدفعها ناحية الصخور ، لكن المحـــرك أجبر الزورق على المضى عبر المجرى . مرا من خلال الممر الضيق بفارق عدة بوصات ، أخذت روز تناضـــل مع الدفة عندما وصـــلا الى منطقة الأمواج الشرسة عند نهاية منطقة الجنادل . بعد لحظات كانا قد وصلا الى منطقة المياه العميقة الهادئة .

لم يكن لدى آلانت وقت ليتطلع حوله ، فقد كان مشغولا للغاية في الحفاظ على المحرك دائرا : فقد كان يعلم أن حياتهما تتوقف عليه ، كل ما كان يشعر به أن الزورق يهتز تحت قدميه ، ويرى بطرف عينيه الصخور



الأمواج العالية وصخور الجنادل

وهى تمرق الى جـواره بسرعة ، فأظهرت مدى السرعة الكبيرة التى كان يسير بها الزورق ، فصلى لله ولم يكن صلى منذ أن ترك المدرسة ·

بعد عدة لحظات قليلة وصـــلا منطقة الجنـادل الثانية · كانت مثل المنطقة الأولى ـ صخور شرسة ومياه مندفعة · وتحتم على روز أن تكون يدها قابضة بحزم على الدفة ، وعينها يقظة · فمجرد لمس هذه الصخور معناه الموت · شعرت بنوع من الاثارة لم تشعر به أبدا من قبل · كان عقلها يعمل مثل الماكينة ، واستطاعت أن تجبر « الملكة الأفريقية » على اطاعتها وايجاد طريق آمن وسط المخاطر التى تحيطها ·

فى الجزء الأسفل كان النهر يجرى خـلال مجرى ضيق تحفه جدران عالية من الصخور من كل جانب ، كان الأمر أشبه بركوب ســيارة تسير بسرعة كبيرة · استدارت مع المنحنى بسرعة وبدا كمـا لو أن الزورق يمضى فى مواجهة الصخور ·

حافظت روز على المســافة بينها وبين الصخور فى اللحظة التى بدأ الزورق يلف فيها قبل أن يصل المنحنى · كان شيئا جيدا ذلك الذى فعلتـــه ! فقد حمل الزورق بقوة المياه الى الضفة الأخـرى : فتشبثت روز بالدفة

بكل قوتها ، فاستدار الزورق ، وبدا للحظة كما لو ان الدفة ستصطدم بالصخور · وساعد على انقاذهما مقاومة مروحة الدفع للتيار من أسفل الزورق · بعد ذلك قذف بالزورق داخل المجرى ، وكان على روز أن تجد ممرا جديدا وسط الصخور التى تزيد المياه حولها ·

أخيرا رأت ألانت يحاول أن يلفت انتباهها · كانت ضجة المياه فظيعة ، لدرجة ان صوته لم يصل اليها · كان واقفا يمسك بقطعة من الخشب ويشير بها ناحية الشاطىء · كان يريد أن يخبرها بأنهما فى حاجة الى المزيد من الخشب للنار · أشارت له بأنها أدركت رسالته ، ثم بدأت تنظر الى الأمام لتتفادى الصخور · مرا خلال مجموعة أخرى من الجنادل ، ثم عبر ممر ضيق عرضه خمسة عشر ياردة ، وبدالهما كأنهما مسافران فى قطار سريع · كان لابد أن يجدا مكانا ما للتوقف فورا ، لكن لم يكن هناك مكان يمكن أن يتوقفا فيه ·

وقف ألانت ثانية بقطعة الخشب فى يده · لوحت له روز ، وقد أدركت مدى حاجتهما للخشب ومدى خطورة نقصانه من خلال اشارته · ومضيا فى طريقهما ·

بعد ذلك شاهدت روز ما كانت تريده · حائطا من الصخور يعترض المجرى تقريبا فى منطقة الوسط

حيث تتكوم المياه عالية ثم تندفع فى شكل موجة خضراء عاتية • أما أسفل ذلك الحائط فالمياه صافية ، ولا توجد صـــخور •

ارتفعت مقدمة « الملكة الافريقية » عندما اصطدمت بالمياه العالية ، بعدها ارتفعت المؤخرة ثم هوت الى أســـفل • أما عند أسـفل الحائط الصخرى فقد كانت هناك أمواج خضراء عالية ، اصطدم بها الزورق فأحدث فرقعة ، وصعدت المياه الى داخل الزورق • وبدا كما لو أن « الملكة الافريقية » تندفع بمقدمتها الى العمق ، ساعد على ذلك الأمواج التى تدفع المؤخرة الى أعلى • لكنها فى اللحظة الأخيرة خلصت نفسها ، ودارت حول نفســـها • ألقت روز بثقلها على الدفة ، وصاحت : « قفى ! » • ومضت « الملكة الأفريقية » تسير ببطء خلال المياه الهادئة أسفل الحائط الصخرى • بالقرب من المؤخرة كانت المياه تزبد فوق الصخور • أما أمامهم فكانت المياه تصطدم بالحائط الصخرى الذى هربت منه روز توا • كانت الضجة تحيط بهما من كل ناحية ، لكنهما كانا فى الأمان •

قال آلانت : « هيه ! » ، لكنهـــا لم تســـمع ما نطق به •

شعرت روز بآلام فى ركبتيها ، وداهمها شعور داخلى غريب بالخواء • شعر كلاهما بانتعاشـة شديدة لنجاحهما • وواصل ألانت كلامه مع روز ، رغم أنها لم تستطع سماع كلمة مما يقوله •

كان ذلك المكان الضيق العميق من النهـــر باردا ولطيفا • كانت هناك بعض الأشجار تعلوهما عن طرف الجرف ، فكان الضوء المتسرب من خلال أغصانها أخضر اللون ، ومريحا للبصر • أصبحا الآن فى منأى عن الحر والشمس الحارقة لأفريقيا • لم تكن هناك حشرات • كما لم يعد هناك خوف من أن يكتشفهما الألمان •

كان ينبغى العمل فى صيانة الزورق على الفور • أحضرته روز تلك المضـخة الشيطانيـــة ، وبدأت فى تخليص الزورق من المياه الموجودة بداخله • أما ألانت فقد ذهب لاحضار الخشب • فأحضر كما كبيرا ملأ به الشاطىء ، ثم نقله الى الزورق •

تناولا وجبة مشـــبعة وشربا العديد من أكواب الشاى مضافا اليها كمية من السكر • لم يســـتطيعا تبادل الحوار بسبب جلبة المياه التى لا تنتهى ، لكنهما يبتسمان لبعضهما ويتبادلان الاشارات •

بعدما انتهيا من الأكل بدأ النعاس يداعبهما • وشعرت روز برغبة من النوم ، بينما كان ألانت يضع

الأطباق والفناجين في مكانها · راحت روز في سبات عميق · ورقده ألانت فوق صناديق المتفجرات ·

كان من الغريب أن ذلك الصمت العظيم الذى حل بهما ، ولم يمض عليه سوى يوم واحد فقط ، بدا كنوع من ذكريات طفولته عندما كان طفلا ·

قال لنفسه : « هؤلاء الألمان لن يصدقوا أبدا أن أى انســـان بامكانه المضى عبر تلك الجنادل ، لكننا أثبتنا عكس ذلك ! » ·

أبتسم ، ونام ·

(٧)

خليج الشـلالات

في الصباح التالى قام ألانت باشعال النار تحت الغلاية ، وقام الاثنان بتكويم الخشب في القارب • أخذت روز مكانها عند الدفة ، وتطلعت ناحية منطقة الجنادل التالية • أعطت اشارة لألانت • فدفع الزورق بعيدا عن الشاطىء • ثم أعطته اشـــارة أخرى ، فأدار مروحة الدفع بالعكس لكى تصـــبح مقدمة الزورق بعيدة عن الشاطىء • ثم أعطته اشارة للتقدم الى الأمام • وما أن أصبح الزورق في المجرى الرئيسى ، حتى بدأ جنون اليـــوم •

أحست روز بسعادة مفرطة ، أثناء قيادتها الزورق وسط الأمواج ، واستشعرت قفز الأمواج ورؤيتها وهي تصطدم بمقدمة الزورق • كان أجمل شعور أحست به

روز عن أى شىء ، هو ارتفـــاع الجزء الخلفى « للملكة الأفريقية » عندما وصلت الى قمة واحدة من هذه الموجات الطويلة الهادئة للمياه الخضراء ، ومضت تســـابقها والموت يتربص من كلا الجانبين والدمار ينتظرهما فى القـــاع ٠

حوالى بعد الظهر لم تعد هناك مناطق جندلية ٠ واتسع مجرى النهر ، فى حين كانت الصـــخور مثل الجدران ، والنهر ينساب بينها ٠

وأخيرا وجدا مكانا يمكن الرسو فيه ٠ مجرى جانبى للنهر ٠ لكنه يقع بعد شـــلال ارتفاعه أربعون قدما ، لاحظته روز فى اللحظة المناسبة فقادت الزورق بسلاسة ولاحظت روز مكانا متسعا بأسفل ، يشكل خليجـا صـغيرا ٠ أعطت اشـــارة لألانت ٠ فتمهلـت « الملكة الأفريقية » استعدادا للتوقف أمام الشاطىء المنحـــدر ٠

ربط ألانت الزورق الى الشاطىء ، بينما كانت روز تتطلع حولها ٠

قالت : « جمـــال رائع ! » ٠ لم يكن الشـاطىء منحدرا جدا فى هذا المكان ٠ وواجهة الصخور مغطـاة بالزهور ٠ كانت الصخور حمراء وبنية ورمادية ، ويمكن

رؤيتها من خلال الزهور · لم يكن هنـــاك تراب ، ولا حشرات · والجو ليس أكثر حرارة من يوم صيف فى انجلترا · ولأول مرة فى حياتها شعرت بالرضا عن نفسها ، ودبت فى جسدها الحيوية ·

عاد ألانت الى الزورق ·

وقال : « هل من الممـــكن أن تنظرى الى قدمى يا آنسة ؟ فقد دخلت فيه قطعة خشب حادة ، وأعتقد أنها مازالت موجودة » ·

ركعت روز على ركبتيها ، وخلعت حذاءها ·· حددت المكان وجذبت قطعة الخشب ، وشاهدت الدم ينبثق من مكانها ·

قالت له وهى تترك قدمه : « الآن لم يعد لها وجـــود » ·

قال ألانت : « أشكرك ، يا آنسة » ·

صمت قليـــلا ثم تطلع الى الزهـــور ، وقال : « ياه ! يا للروعة ! » ·

لقد جعلتهما الأربع والعشرون ساعة الماضية ، التى قضياها وسط ضجة الماء وخطر منطقة الجنادل ، يقتربان من بعضهما أكثر وفى منتهى السعادة ·

قال ألانت : « ان تلك الشلالات هناك ، تجعلنى أفكر فى ... » .

لم يقل أبدا الدافع الذى جعله يفكر . وأخذ ينظر الى روز الواقفة الى جانبه .

لم يكن يدرى ماذا يفعل ، عندما وضع يده على عنقها اللطيف الذى أحرقته الشمس . فأمسكت روز بيديه لتضمهما ، لا لتبعدهما عنها .

(٨)

انكسار مروحة الدفع

كانت روز هى التى استيقظت وجهزت طعام الافطار . فقد بدا من العيب بالنسبة لها ، أن ترهق تشارلى (كما تناديه الآن) بأعمال تخص المرأة ، لكنه كان يساعدها .

بعد ذلك قام ألانت بجمع الخشب ، وأشعل النار تحت الغلاية كالعادة .

قال : « أعتقد أننا تركنا آخر جندل خلفنا ، والجزء القادم من النهر سيؤدى الى الأرض المسطحة التى تحيط البحيرة » .

لكنه كان على خطأ . فبعد عشر دقائق من المضى فى مياه هادئة ، ترامى الى روز صوت ضجة جندل

آخر . فجلست وأمسكت الدفة بقوة ، وأخذت تتطلع الى الأمام ، لتجد خطا من المياه الواضحة بين الصخور حتى لا تعرض الزورق الى الانحراف فجأة . وبحدة . كان يجب أن يتم ذلك خلال لحظات قليلة من الزمن ، ما بين رؤية الجندل ، واللحظة التى تتقاذف فيها الأمواج الأولى « الملكة الأفريقية » .

وهكذا واصلا طريقهما فى نهر جامح . ونجا فى عبور كل الأخطار . كان من المستغرب أنهما فعلا ذلك ، ولم يكن هناك أدنى أمل فى نجاحهما .

وصلا الى مكان أصبح المجرى فيه ضيقا جدا ، ولا يسمح بوجود شبر من المياه الهادئة . كان على روز أن تختار مكانا تبدو فيه المياه هادئة الى حد ما ، لتحاول تفادى الأجزاء الصخرية التى تراها والمياه تزيد من من حولهـــا .

ارتفع مقـــدم الزورق الى أعـلا ، ثم هوى بـين الأمواج المقابلة . ارتج الزورق وارتفعت المياه لتصل الى المدخنة . رأت روز منطقة هادئة أمامها ، وبينما كان الزورق يتجه ناحيتها ، سمع صوت اصطدام ، تبعه هزة عنيفة ، كما لو أن الزورق قد تحطم وأصبح أشلاء .

أغلق آلانت محبس البخار .

فصاحت روز : « دع المحرك يعمل ، ياشارلى » .

فتح ألانت محبس البخار قليلا : فبدأت الهزة ثانية ، لكن مروحة الدفع كانت مازالت تعمل وواصلت روز قيادة « الملكة الأفريقية » .

وابتهل ألانت الى الله ، ألا يكون قاع الزورق قد انفصل عنه . أطلت روز من فوق حافة الزورق ، فاكتشفت أن الزورق يسير ببطء خلال الماء ، فى حين كان تيار النهر يسيرهم بسرعته المعتادة .

أيقنت روز أنه من المهم جدا أن يتوقفا بأسرع ما يمكن ، لكن كيف يتسنى لهما الوقوف فى ذلك المجرى الضيق بمياهه المندفعة ؟ . كما أن السرعة البطيئة للزورق لن تمكنها أبدا من قيادته فى منطقة الجندل .

حركت الدفة . واكتشفت أن هناك شيئا خطيرا فى عملية التسيير . فقد كانت مروحة الدفع تجعل الزورق يسير متعرجا ، ويحتاج لجهد كبير فى قيادة الدفة لتصحيح مساره .

كانت المنحدرات الصخرية تنسحب على جانبى الزورق ، والارتجاج أصبح أسوأ . بذلت كل جهدها

لتحافظ على الزورق وسط المجرى • وعلى بعد مسافة طويلة أمامها أمكنها رؤية صخور سوداء تحف جانبى النهر وحولها مياه بيضاء رغوية • وهنا كان لابد أن تتوقف ! كانت هناك صخرة كبيرة على اليسار ، تبرز داخل النهر • ومن المحتمل امكانية الوقوف تحتها فى أمان •

صاحت : شارلى » سمعها وفهم الاشارة التى قامت بها • بدا الأمر صعبا • فلو أنهما قاما بالاستدارة بسرعة فمن المحتمل أن يصطدما بالصخرة ، ولو استدارا ببطء فمن المحتمل أن يســـتدير الجزء الخلفى أولا ، ولا يستطيعان السيطرة على الزورق فى هذا التيار السريع • كان لابد من تغيير سرعة الزورق ، لتتناسب مع قوة مروحة الدفع أثناء حركة الالتفاف •

ثبتت الدفة فى وضع مســـتقيم وأخذت تراقب المقدمة أثنـــاء دوران الزورق • اندفعت المقدمة نحو الصـــخرة ، لكن الدورة لم تكتمل • وظل جزء من الزورق فى مجرى النهر • ولمست المقدمة القاع • ارتج الزورق وكادا أن ينقلب واعتلت كتلة من المـــاء أحد جوانبه ، فاطفأت نار الغلاية •

لكن الانت أنقذ الزورق • فقد قفز الى الماء • ودفع بكتفه تحت المقـدمة وأخذ يدفعهـــا الى أعلى • وبدأت

المقدمة ترتفع من فوق الأرض ، وكان من السهل على التيار أن يشده الى داخل المجرى · لكن ألانت كان قد أخذ معه حبلا ، قام بلفه حول قطعة صخرية وأخذ يجذبه · وبدأ الزورق فى التحرك ببطء تجاه الشاطىء · بعد لحظات كان الزورق راسيا فى المياه الهادئة تحت الصخرة ، بينما شرع ألانت يثبته بعدة حبال ·

كانت « الملكة الأفريقية » ممتلئة بالمياه تقريبا · وعندما وقفت روز على أعلى مكان فى المؤخرة ، كانت المياه تصل الى قدميها · واستطاعت بالكاد أن تبتسم لشارلى · كانت تشعر بالاعياء والاجهاد · ومازالت صورة الموجة الخضراء التى اجتاحت القارب ترعبها · أما ألانت فقد جلس على الصخرة وابتسم لها ·

قال : « كدنا أن نهلك هذه المرة » · لم تستطع سماع ما قاله ، وكان من الواضح أنه هادىء تماما · جلست روز على حافة الزورق ، وأبقت قدميها فى الماء · لم تكن تود أن تدع ضعفها يبدو عليها ·

عاد ألانت الى الزورق ، وتطلع حوله ·

قال : « ياه ! الزورق فى حالة يرثى لها ! ترى كم من المخزون فقدناه » ·

قالت : « دعنا نفرغ الماء أولا ، ثم نرى » .

بذل الاثنان جهدا كبيرا لتفريغ المياه من الزورق . وسرعان ما أحضرت روز المضخة لرفع المياه المتبقية فى أرضية الزورق .

قال ألانت : « دعى عنك ذلك ! سأقوم أنا به » .

ـ « كلا . اجلس أنت وأرح نفسك ـ حتى لا تصاب بالبرد » .

شعرت روز بأن ضخ المياه من الزورق ، يماثل تنظيف حجرة .. وهو عمل نسائى .

قال ألانت بعد انتهائها من عملية الضخ : « السؤال المهم ، هو حجم المياه التى تسربت الى ما تحت أرضية الزورق ؟ » . ثم قام برفع بعض ألواح الأرضية . بعد نصف ساعة لم يعد هناك مزيد من تسرب المياه .

قال ألانت : « عظيم ! هذا أكثر مما كنا نرجوه . كنت أتوقع أن أجد ثقبا بعد كل ما حدث . كما أننا لم نفقد أى شىء من مخزوننا » .

ـ « ما سبب تلك الضجة والارتجاج اللذين حدثا قبل أن نتوقف ؟ » .

قال ألانت : « سأعرف سبب ذلك » .

خشى أن يكون الأمر أسوأ مما يتصور ، وأدرك كم ستحزن روز لو كان الوضع كما تصوره .

سألته روز : « ما الذى ســـوف نفعله لعلاج الموقف ؟ » .

ـ « لابد أن أغوص تحت الزورق لأرى ماذا حدث . عليك أن تقفى هنـا ومعك هذا الحبل . فربما يكون هناك تيار تحت الزورق يجرفنى معه » .

تطلعت روز الى أسفل وراقبت ألانت وهو يختفى تحت قاع الزورق . وكانت لاتزال ترى قدميه .

بعد برهة ظهر ألانت واستند الى جانب الزورق ، والماء يتساقط من شعره .

ســـألته روز : « هل شـــاهدت أى شىء ، يا عزيزى ؟ » .

قال ألانت : « نعم » . ولم يضف أى شىء آخر الا بعد أن صعد فوق سطح الزورق . كان فى حاجة الى وقت ليفكر . جلست روز بجانبه وانتظرت . ومدت يدها وأمسكت بيده المبتلة .

ـ « لقد انثنى عمود ادارة مروحة الدفع ، وفقدت احدى ريشاتها » .

فقالت روز ، وليست لديها فكرة عن خطـــورة الوضع : « وينبغي علينا أن نصلحها » •

قال ألانت وهو يضحك : « نصلحها ! » • فقد تصور نفسه هو وروز يتجولان في الغـابة وقد أعياهما الاجهاد والجوع •

ـ « الله وحده يعلم كيف انثنى عمود الادارة عند اقترابنا من هنا » •

قالت روز : « لا بأس • دعنـا نترك كل شيء يجف، ونتناول بعض الطعام ، بعدها يمكننا أن نتحدث عن ذلك » •

بعد أن تناول شـيئا من الطعام وشرب شـــايا ثقيلا ، بدأ يشعر بالتحسن •

ســألته روز : « ما الذى ينبغى علينا عمله الآن ؟ » •

ـ « سأقول لك ما ينبغى عمله ، لو توفر لدينا مكان نستطيع أن نخرج فيه الزورق من الماء ، ونعثر على ميكانيكى ، واذا كانت توجد ميناء هنا لكى تحضر بعض قطع الغيار التى نحتاجها • بمعنى أنه لابد من اخراج الزورق ، وفك عمود الادارة واستبداله ، وشراء مروحة دفع جديدة • وأثناء انتظارنا وصـــول هذه الأشياء ، يمكننا طلاء قاع الزورق • بعد ذلك نقوم

بتركيب عمود الادارة ومروحة الدفع الجديدة ، ثم نعيد الزورق الى الماء ، وكأن شيئا لم يحدث · لكن الحقيقة هى أنه لا يتوفر لنا أى شىء · ليس لدينا أى شىء · وهكذا لن نستطيع فعل شىء » ·

كان ألانت لايزال يفكر فى مسألة التجوال فى الغابة ، لكن روز لم تســـتطع تصور أن يكون هناك مستحيل أمام الانسان ·

فسألته : « ألا يمكن أن تفك عمود الادارة ، دون اخراج الزورق على الشاطىء » ؟ ·

قال ألانت : « سأحاول ، وهذا يعنى الغطس تحت الماء لفك عمود الادارة ومروحة الدفع · بامكانى فعل ذلك · ربما » ·

ـ « عظيم ، وطالما أنك أخرجت عمود الادارة الى الشاطىء ، يمكنك استعداله » ·

قال ألانت : « لا جـــدوى من ذلك ! فلابد من تسخينه ، وايجاد مطرقة ثقيلة للدق عليه · ونحن ليس لدينا فحم ، أو أى شىء · كما أننى لا أجيد هذا النوع من العمل » ·

ـ « رأيت ذات مرة رجـــلا أفريقيـــا ، يعمل بالحدادة . كان يشعل النار بالخشب ويطرق الحديد على صخرة كبيرة . كان معه صبى ينضخ النار لتزداد حرارتهـــا » .

قال ألانت : « من الممكن أن نحاول ذلك ، فهناك أخشاب كثيرة بجوار الشاطىء » .

قالت روز : « حسن ، اذن ... » .

لم يكن من الســــهل اقناع ألانت . فقد كان مهندسا ، تدرب على عمل خاص بالمحركات ، ولا يؤمن بذلك العمل البدائي العشوائى . لكن ، تحت الحاح روز ، وافق على القيام بمحاولة اصلاح عمود الادارة . ثم فجأة تنحى عن الفكرة .

قال : « لا ! لا فائدة من ذلك . لقد نســـيت مروحة الدفع . فلا فائدة ترجى منها وقد فقدت احدى ريشـــاتها » .

قالت روز : « بامكانها أن تشدنا قليلا » .

قال ألانت : « لو استعملناها بريشتين ، فسوف تتسبب فى اعوجاج عمود الادارة ثانية » .

ـ « حسن ، يمكنك صنع ريشة ثالثة . فهناك الكثير من قطع الحديد يمكنك استخدامها » .

قال ألانت : « وكيف أثبتها فى مروحة الدفع ، أربطها ؟ » .

لكن روز لم تضحك كما توقع ألانت . فقد أخذت الأمر بجدية .

قالت : « نعم . لو أنك ترى أن ذلـــك يؤدى الغرض . ألا يمكنك أن تثبتها بطريقة ما ؟ أطرق الطرفين بعد تسخينهما لدرجة كبيرة . ثم بلحامهما . وهذه هى الكلمة الصحيحة ، أن تقوم بطرق قطعتين ساخنتين من المعدن ليلتحما » .

قال ألانت : « يا سلام ! أنت تمزحين ! حقا تمزحين ! » .

تخيل ألانت نفسه وقد قام بصنع ريشة مروحة الدفع من قطعة حديد ، ولحمها بيده فى مروحة الدفع ، ثم ثبت المروحة فى عمود الادارة بعـــد أن استعدله بالطرق عليه فوق صخرة ، وبعدها توقع أن تســـير « الملكة الأفريقية » ! لكنه ضحك ، وشرع يضـــحك ويضحك ، وكان على روز أن تشاركه الضحك ، لأنهما الآن أحبا بعضهما كثيرا .

بعد برهة من الوقت ، قالت روز : « لماذا ضحكت على هذا النحو ، عندما تكلمت عن اللحام ؟ أليست هذه هى الكلمة المناسبة ؟ » ٠

قـــال ألانـــت : « أصـــغى الى ، وســـوف أشرح لك ٠٠٠٠ » ٠

لكن كان من غير الممكن رفض طلب لروز ٠ وفى النهاية قال ألانت : « حسن ، سأرى ماذا يمكن أن أفعـــل » ٠

قال ذلك مثلما يقولهـــا أى زوج محب ، عنـــدما تطلب منه زوجته شراء بعض الأثاث ٠ وهكذا شرعا فى العمل ٠

بعد جهد كبير تحت الماء ، نجح ألانت فى فك مروحة الدفع واخراجها من الماء ٠ لم تكن الريشـــة المفتقدة مكســـورة بكاملها ، وانما بقى منها حـــوالى بوصتين ، وهكذا بدت امكانية تثبيت ريشة جديدة فى ذلك الجزء ٠

بعد ذلك كرس ألانت جهده لاخراج عمود الادارة، والنظر فى امكانية اصلاحه ، لأنه ليس من المفيد اصلاح مروحة الدفع فقط ٠

كان فك عمود الادارة مهمة صعبة واستغرقت وقتا طويلا ٠ كانت تحتاج لوجود شخص داخل الزورق ،

وآخر تحت الزورق ، وبالتالى كان على روز أن تتعلم مجموعة من الاشارات كان ألانت يقوم بها من تحت الزورق .

أثناء قيام ألانت بهذه المهمة ، كان يطفو من حين لآخر فوق سطح الماء ليلتقط أنفاسه لفترة طويلة ، ونتيجة لبقائه تحت الماء فترات طويلة وصعوده فوق السطح ، وتعرضه لأشعة الشمس الشديدة ، احترق جلده ، وظهرت تشققات فى كل جسمه . كانت لحظة رائعة عندما رأت روز ألانت وهو يخرج من الماء حاملا عمود الادارة بين يديه .

هز ألانت رأسه أسفا ، عندما نظر الى الالتواء الموجود بعمود الادارة الذى بدا واضحا فى ضوء النهار ، لكن الاثنين أعدا نفسيهما بحماس لاستعدال عمود الادارة .

قام ألانت بصنع منفاخ – لضخ الهواء – من قطعتين مسطحتين من الخشب وقطعة جلد من معطف روز ، الذى كانت تحتفظ به فى صندوقها مدة العشر سنوات التى قضتها فى أفريقيا دون أن ترتديه . واستطاعا أن يجدا مكانا مناسبا لاشعال النار . كان ألانت على يقين من أن روز لو قامت بتشغيل المنفاخ بشكل جيد ، فسوف يكون باستطاعتهما تسخين عمود الادارة بما يكفى ليقوم باستعداله بالمطرقة .

ركعت روز بجوار النار وانكبت على تشغيل المنفاخ كامرأة مجنونة ! حتى أسود وجهها • كانت النار تلتهم الأخشاب بسرعة ، تلك الأخشاب التى عانى كل منهما فى جمعها من على الشاطىء ، أو من أعالى الغابة ، ودفعها الى أسفل ، حيث كان بعض هذه الأخشاب يتعلق بالحافة والبعض الآخر يسقط فى النهر ، لكنهما جمعا كمية كافية •

كانا سعيدين بعملهما الصعب هذا ، وكأنهما طفلان يلهوان • فقد صادف هذا العمل الشاق هوى فى نفسيهما • كان ألانت مشحونا بحماس روز لانهاء هذه المهمة ، اضافة الى مشاعر الود الرائعة التى تجمعهما كل مساء وقربت بينهما • لم تعرف روز سعادة مثل هذه من قبل أبدا ، وربما ألانت كذلك •

رويدا رويدا بدأ عمود الادارة فى الاستقامة • عندما حل الصباح أخيرا ، كان بمقدور ألانت أن يقرر بأن عمود الادارة على ما يرام بقدر ما أمكنه •

وباستطاعته الآن أن يتحول الى المهمة الصعبة الخاصة بمروحة الدفع •

عثر ألانت على قطعة حديد مناسبة ، وبدأ يطرقها ويشكلها حتى بدت مثل الريشيتين الأخريين •

كانت روز تراقب وتعمل على المنفاخ • وحدث أن أمســـكت طرف قطعة الحديد ، والمفترض أنها بردت بقطعة من القماش لكنها حرقت أصابعها أكثر من مرة ، امتلأ أنفها برائحة القماش المحترق • ولم تنج ملابسهما التى يرتديانها من ثقوب بسبب النار • لكنها كانت مستمتعة بكل لحظة أثناء عملها •

قال ألانت فجأة : « لو أن أبى أرسل بى لتعلم هذه الصـــنعة عندما كنت صبيا ، لما كنت جئت الى أفريقيا أبدا • وربما بقيت ••• » •

عاد ألانت بذكرياته الى لندن ، ومحلاتها التجارية خاصة مســـاء السـبت • ورائحة محلات الأسماك ، والأضواء الساطعة ، وجموع الناس • وشعر للحظة برغبة فى العودة الى هناك ، ثم استفاق على الواقع ، حيث الجروف الصخرية الحمراء ، وضوضاء النهر ، و « الملكة الأفريقية » راسية على الشاطىء ، وروز الى جـــواره •

فأشار الى ريشة مروحة الدفع التى لم تكتمل وقال : « لو حدث ذلك ، فلم أكن لأقابلك أبدا ، ياروز ، ولم أكن لأفعل هذا • ان الأمر يستحق ، فعلا يستحق ! وأنا أعنى هذا ! » •

احتاجت قطعة الحديد التى شكلها ألانت الى بعض التشـــطيبات النهائية لتصبح بنفس المقاييس وبنفس شكل الريشتين الأخريين • ثم كان عليه بعد ذلك أن يصنـــنع الاطار الذى سيضم القطعة الجديدة مع الجزء المتبقى من الريشة القديمة •

وأخيرا ثبتت الريشـــة فى مكانهـــا وبدت مثل الريشتين الأخريين •

قال ألانت : « كل شىء جاهز ! لم يعد الا أن نعمل الآن ! ونرجو أن ننجح » •

تطلب اعادة عمود الادارة وتثبيت مروحة الدفع به مزيدا من العمل تحت الماء • وبعد أن تم تثبيتهما ، دفع ألانت البخار من الغلاية الى المحرك ، وترك الزورق يتحرك للأمام ببطء حتى أصبح الحبل الذى يربطه مشدودا ، ثم الى الخلف حتى حدث نفس الشـــىء مع الحبال الأخرى • وقد أظهر ذلك أن عمود الادارة ومروحته الدفع بامكانهما الدوران ، ولـــكن هذا لا يؤكد أنهما سوف يقاومان حركة السير • وعلى كل سوف يتأكد ذلك عندما يمران بمنطقة الجنادل ، وسيكون الموت من نصيبها اذا فشلت عملية الاصلاح التى قام بها ألانت •

كان يعلمان مدى الخطر الذى يواجهانه دون أن يفصحا عن ذلك •

وعندما حل الصباح لم يتفوها بكلمة عن ذلك •
زود ألانت الغلاية بمزيد من الخشب ، الذى توجد منه كمية لا بأس بها ، وأصبحا على استعداد للانطلاق •
تتطلع ألانت حوله للمرة الأخيرة •• للمكان الذى بناه بين الصخور لاشعال النار ، وكومة الرماد المتخلفة عن احتراق الخشب •

التفت الى روز الواقفة بجوار الدفة ، لم تكن تستطيع الكلام ، لكنها كانت ترد عليه بحركة صغيرة برأسها • فك الحبال من على الشاطيء ، ودفع الملكة الأفريقية بعيدا عنه ، ثم دفع بالبخار الى المحرك •

قال ألانت وهو ينحنى فوق المحرك : « وداعا ، يا عزيزتى » •

فقالت روز من مكانهـــا عند الدفة : « وداعا ، يا عزيزى ! » •

لم يستطع كل منهما أن يســـمع الآخر بسبب ضوضاء النهر وسرعة التيار ، ولم يكن يهمهما أن يسمع كل منهم الآخر ، فقد كانت تجتاحهما دفعة عظيمة من الشـــجاعة •

مضت « الملكة الأفريقية » مع التيار • وللحظة أحس كل منهما أن هناك شيئا ليس على ما يرام ،

لأن عمود الادارة لم يكن يصدر عنه نفس الضوضاء؟ التى كانت تصــــدر عنه من قبل ، وحقيقة فقد كان أكثر انضباطا مما كان عليه قبل الحادث • حركت روز الدفة واتجه الزورق تجاه منطقة الجنادل • بعد لحظات كانا يطيران مع التيار ، وآلانت يراقب المحرك ، وروز عند الدفة تتطلع الى الأمام لتكتشف طريقها عبر الصخور والمياه المتلاطمة •

(٩)

الحشـــرات

أسفل آخر الجنادل ، كان هنـــاك تغير كبير فى طبيعة النهر . كان قاع النهر مسطحا ، وسرعة التدفق أقل ، وتغيرت طبيعة الشواطىء .

ترسبت فى قاع النهر كمية هائلة من الطين الذى حمله تيار النهر المتدفق من منطقة الجنادل . وهنـا اتسع النهر وانتشرت به عدة جزر ، وعلى مدى اتساعه تكونت عدة مناطق أشـبه بالمستنقعات ، التي تختلط مياهها بالطين ، نتيجة لتبخـر الماء . وتنمو فيهـا حشائش طويلة كثيفة ونباتات أخرى وأشجار .

سرعان مالاحظ ألانت وروز هذا التغير ، فأحيانا كان تيار النهر يتدفق بنفس السرعة السابقة ، وكان على روز أن تخطط لسيرها لمسافة نصف ميل . أمامهـا

لاختيار مسارات عميقة لسير الزورق · خاصـــة تلك المسارات التى لاتنتهى فجأة ، ولو أخطأت فان الزورق سيندفع بسرعة هائلة ليصطدم بالقاع ، فتنكسر مروحة الدفع وينثني عمود الادارة ، فيدفن الزورق تحت الماء المتدافـــع من كلا الجانبين · لم تـــدع روز هذه الأفكار تسيطر على تفكيرها ، وأعطت كل انتباهها لاكتشـــاف تلك المسارات المفتوحة ·

فجأة تغير الجو ، وداهمتهما سحب سوداء تتدافع فى السماء ثم بدأت العاصـــفة وانهمر المطر · عندما رأت روز العاصفة للوهلة الأولى ، شرعت فى توجيـــه « الملكة الافريقية » تجاه الشاطىء · ربط ألانت الزورق فى شجرة على حافة المياه · ومن ثم جلســـا متوترين خلال العاصفة ، والمطر يضربهما بشدة ، خاصة وأن المظلة لم تعد موجودة لحمايتهما · هبت ريح ساخنة ، فقام الانت بفك رباط الزورق قليلا ليبعده عن الشاطىء خشية أن تدفعـــه الريـــاح فيصطدم به ، وقد يضر هذا بعمود الادارة ومروحة الدفع ·

أخيرا انتهت العاصـــفة ، بسرعة كمـــا بدأت · وسطعت شمس ما بعد الظهيرة : وبدأ البخار يتصاعد فوق سطح الماء · كان الزورق ممتلئا حتى نصفه بالماء ، فكان عليهما أن يقوما بضخه خارج الزورق ·

عندما انتهى المطر ، بدأ الذباب وحشرات أخرى في الظهور ، في شكل سحب متعطشة للدماء • كانت أكثر شراسة ، عشر أو عشرين مرة من تلك الحشرات التي عرفاها من قبل في الجزء الأعلى من النهر • ذباب من نوع جديد ، ذباب أسود صغير ، عضته مثل انغراس ابرة ساخنـــة في الجلد تترك بقعة من الدماء مع كل عضة • كانت الحشرات تدخــل في أعينهما وافواههما وأنفيهما ، وتعض أى جزء من الجسم تستطيع الوصول اليـــه •

لم يقل هجوم هذه الحشرات حتى في فترة المساء أو عند حلول الليل • وبدا الأمل في النوم مستحيلا في ذلك الجو الحار الرطب ، وهجوم الحشرات الذى لاينتهى ، اضافة الى انهما كانا مستهلكين من جـــراء ما حدث أثناء النهار •

أثناء الليل اقترب ألانت من روز ، وقال لها : « جربى هذا ، فلن يكون أســواء مما نحن فيه » • فقد عثر على قماش المظلة القـــديم الذى انتزعتــه روز • كادا يموتان من الحر تحت الغطاء ، ورغم ذلك جذباه فوق أعينهما وآذانهما • كان احتمال الحر أسهل كثيرا من احتمال الحشرات • وأخيرا ناما ، وهمـــا يتنفسان بصعوبة ، في هذا الجو الخانق • استيقظا في الصباح

وقد انتابهما صـــداع فظيع ، وجفاف فى حلقيهما ٠ ومازالت الحشرات تهاجمهما ٠

تحتم عليهما أن يسيرا خلال تلك الرائحة العطنة الكريهة للبحث عن خشب ٠ وبالرغم من أن أى حركة كانت تؤلمهما ، فقد قاما بست جولات لاحضار مزيد من الخشب ٠ لكن ، ما ان تحرك الزورق حتى تحررا من الحشرات ٠

كانت المياه فى تلك الآونة بنية اللون ، وسرعتها أقل ، واتساع النهر نصف ميـــل ، وعلى كلا الجانبين حشائش طويلة جدا ونباتات مائية ، والغابة خلف ذلك ٠

لم تكن بها حاجة لمراقبـة الجنادل والصخور ، لكن المجرى كان مليئا بكم كبير من المخلفـــات النباتية وفروع الأشجار ، التى من المحتمل أن تشكل خطرا على مروحة الدفع ٠ فقامت روز بقيـــادة الزورق بمحاذاة هذه الافرع ، واستطاعت هى وألانت أن تلتقط بعضها للنـــار ٠

عندما حل المساء ، قال ألانت : « لايجب علينا أن نرسو بجوار الشاطئ هذه الليلة ، لأن القـــاع ملئ بالطين : وبامكاننا استخدام الخطاف ٠ لن توجد أى حشرات » ٠

وقاما بنشر ما تبقى من قماش المظلة .

وقال الانت : « عظيم ، لقد نجحنا ! لقد وصلنا الى أسفل نهر « الانجا » . كنت أعتقد أن ذلك لايمكن أن يحدث ، انه أنت التى قلت ان ذلك ممكن . لولا اصرارك على ذلك لما كنا وصلنا الى هنا . ألست فخورة بنفسك ؟ » .

قالت روز : « كلا ، كلا ، بالطبع .. انه أنت الذى فعل ذلك . فأنت من جعل المحرك يعمل ، وأنت الذى أصلحت مروحة الدفع .. ولا أعتقد أن هناك شخصا آخر على وجه الأرض كان بامكانه أن يفعل ذلك » .

قال الانت : « ولا أعتقد أن هناك أى أحد آخر سوف يحاول » .

قالت روز وهى تنهض بخفة : « ينبغى أن نتناول عشاء طيبا الليلة . كلا ، لاتتحرك . ما عليك الا أن تجلس مكانك وتدخن سيجارتك » .

تناولا عشاء طيبا ، من بين افضل الأشياء التي جلبها رئيس المنجم لعشائه ـ سمك معلب ، وفاصوليا معلبة ، وفاكهة معلبة ، ولبن معلب .

حل الليل • وبـدا النهر متسعا ما بين الضفتين تحت ضوء النجوم • كانت المياه أشبه بزجاج أسود ، وعميقة تنعكس النجوم على صفحتها وكأنهـا أشـياء حقيقية ، وشعرا كما لو أنهما معلقـان ما بين الأرض والسـماء •

(١٠)

أدغال الغاب (البوص)

مضيا عبر النهر المتسع الداكن اللون ، كانت المياه أشبه بسطح من الزجاج كلما توغلا فيها بالزورق، الذى كان يترك خلفه موجتين على شكل الرقم ٨ ، تأخذان فى الانتشار عرضا حتى تصل الى الشاطىء المغطى بحشائش طويلة ، وأخرى أكثر طولا هى البوص .

واصلا سيرهما بمحاذاة الانحناءات الواسعة للنهر . كانا يتنفسان بصعوبة من شدة الحرارة . كما كان البخار المتصاعد من فوق سطح الماء يجعل الرؤية أمامهما غير واضحة ومشوشة .

قادت روز الزورق ببطء بمحاذاة أحد المنحنيات ، لأنها لم تستطع رؤية المجرى الرئيسى للنهر . فهل

تتجه ناحية اليمين أم اليســـار ؟ • وعلى كل فالأمــر ليست له أهمية كبيرة هنا لأن النهر متسع جدا وعميق • واصلت سيرها حتى وصلت الى منتصف المجرى ، على بعد ربع ميل من كلا الشاطئين ، على أمل أن ترى اتجاه المنحنى القادم عندما تقترب منه ••

بعد ذلك ، وأثناء سيرها ببطء ، أصـــبح النهر متسعا ، فابتعدا كثيرا عن شاطئ النهـــر • وحافظت على مسار « الملكة الأفريقية » تجاه الغابة البعيدة التى بدت أمامها مطموسة المعالم • كانت على يقين من أنها سوف ترى المجرى فورا بعد الانحناءة التالية •

بعد مضى نصف ســـاعة لم تر المجرى ، لكنهما كانا يقتربان من الخضرة الداكنة للغابة ، والخضرة الفاتحة لمنطقة البوص • واستطاعت روز أن ترى مدى اتساع المنطقة بوضـــوح : لم يكن بهـــا أى فتحات ولا مسالك • اذن لابد أن النهر قد تحول مجـــراه عن هذه المنطقة • حركت الدفة لتتجه ناحيـــة الشـــاطئ الأيسر ثانية ، لكنها ووجهت بنفس الشىء ، صفوف من البوص تليها الغابة • واتضح لها أن النهر فيما يبدو لايجرى فى هذه المنطقة •

قالت لنفسها : « من المحتمل أن النهـــر ينتهى هنا ! كلا ! غير صحيح ! الأنهار لاتنتهى فجـــأة هكذا

الا فى المناطق الصحراوية ، لايمكن أن تنتهى عند غابة ممطرة مثل هذه » ٠

كان هناك شيء واحد فقط يمكن أن تفعله يمكن أن يساعدهما ٠ فتوجهت « بالملكة الأفريقية » ، ناحية حواف البوص ٠

قالت : « أنا متأكدة من اكتشـــاف ماذا يحدث للنهر ، لو أننى سرت بمحاذاة شواطئه لمسافة أطول » ٠

ناداها ألانت من عند المقدمة : « ماذا يمكن أن يكون هذا المكان » ؟ ٠

قالت روز : « لا أعرف ٠ سأقول لك بعد قليل » ٠

سارا خلال صفوف البوص ، بدت المياه مختلفة ، كانت أكثر سوادا ، وتتحرك ببطء ، تطفو على سطحها نباتات ميتة ، وأفرع أشجار ٠ وبدا كما لو أنهما وصلا الى نهاية النهر ، ــ الا ، أن ذلك كان مستحيلا ٠

قال ألانت : «لا أعرف الى أى مكان وصلنا ، لكن توجد كمية من الخشب هنا ، دعينــا نتوقف ، ونأخذ ما يمكننا أخذه » ٠

أخذ ألانت ينتشـــل الخشب من الماء ، ويقطعه قطعا صغيرة بفأسه وينشره على سطح الزورق ليجف ٠

فتحت وطأة شمس مثـــل هذه يمـــكن أن يجف سريعا ويحترق بسرعة ٠

أخيرا قال الانت ٠ « أعتقد أننـــا أخذنا كمية كافيـــة » ٠

وواصلا سيرهما داخل البوص، وبدا كما لو أنهما متوجهان ناحية دائرة واسعة ٠ تطلعت روز الى الشمس فتبين لها أنهما يسيران عكس الاتجاه الذى دخلا منه ٠ فالى يسارهما أصبح الشاطىء المغطى بالبوص متسـعا جدا ٠ كان متسعا حتى أنهما استطاعا رؤية الغـــابة خلفـه ٠

قالت روز لنفسها : « لكن لابد للنهر أن يجـــد لنفســـه مخرجـا ما من هذا المكان ٠ ان اتســـاعه نصف ميل ، لابد أن يكون هناك مخرج ٠ سوف نصله بأى حال من الأحوال » ٠

حـــل وقت ما بعد الظهيرة ، ومازالا لايستطيعان رؤية اى علامة ٠ فى بعض الأماكن كانت توجد علامات لمجار مائية صغيرة جدا داخل البوص ٠٠ أماكن ، البوص فيها ليس كثيفا ، مما يشـــير الى عمق الميـــاه تحت البوص ٠

وبالاسترشاد بالشمس ، اكتشفا أنهما أصبحا تقريبا في نفس المسار الذى كانا فيه عندما لاحظت روز لأول مرة أن النهر أصبح متبسما • وهكذا ، فلابد أنهما دارا دورة كاملة • بعد عشر دقائق تيقنت روز ان الأمر كذلك فعلا ؟ • فقد عادا للنقطة التى بدءا منها ، وكانا في طريقهما الى منطقة الجنادل •

منذ أسبوع مضى كان من الممكن أن تبكى روز من الخجل ، لكنها الآن شخص مختلف • فلم يعد تثيرها أى ألاعيب صعبة يقوم بها نهر أفريقى • لكنها لو كانت حمقاء ، لكان ألانت كذلك • عندما طلبت منه أن يتوقف ، كان مندهشا • وتطلع حوله ولم يدرك أين هو • وأعتقد أن روز وجدت الطريق الى البحيرة •

قالت روز : « أنزل الخطاف • ألا ترى الآن أن النهر يجرى فى الاتجاه المعاكس للجنادل ، بعيدا عن البحيرة ؟ » •

قال ألانت : « حسنا ، هذه الشواطىء تبدو لى أشبه ببعضها •• ، لكن طالما نحن هنا ، فهذا مكان لابأس به لقضاء الليل • فلا توجد حشرات ، ومن الممكن أن ننام براحتنا وننسى كل شىء » •

قالت روز ، وهى ماتزال واقفـــة تظلل عينيها بيدها وتتطلع عبر الماء ناحية الاتجاه المعاكس للشاطىء :
« لابد أن يكون هناك مخرج · فقـد لاحظت وجود عدة مجار مائية صغيرة خـــلال البوص ، لكننـا لن نمضى خلالها · وسوف نختار أفضلها غدا ، وتنفذ منه بأى طريقة · لايمكن أن نكون بعيدين جدا عن البحيرة » ·

لم تنم روز نوما هادئا · كانت غاضبة ، لأنهما لم يحققا تقدما كبيرا ذلك اليوم ·

لم تتعود روز على الفشل ، ولذا كانت غاضبة من نفسها · ظلت يقظة لفترة طويلة وهى راقدة ، وغاضبة على ألانت الذى نام بهدوء واطمئنان ·

فى صباح اليوم التالى لم تتفوه الا بكلمات قليلة ، وكانت تتحدث بحدة · نظر اليها ألانت عنـدما ردت على كلامه العادى باقتضاب · وقرر ألا يتفوه بالمزيد ، واكتفى بهز رأســه ، وشـعر بمنتهى التعقل وأخذ يفكر فى تصرفات النساء الغامضـــة · وشرع للاعداد للرحيل بأسرع ما يمكن ·

قادت روز « الملكة الأفريقية » تجاه المكان الذى من المحتمل ان تعثر فيه على أفضل مجرى داخـــل البوص ·

صاحت قائلة : « امض ببطء الآن » .

اقتربا من حافة البوص بقدر ما أمكنهما ، شاهدت مكانين لاينمو فيهما البوص بكثافة ، وبعد لحظات من التردد فقامت بعبورهما حتى وصلا الى منطقة ، ظهر بها مجرى واضح ، فوجهت الزورق تجاه فتحته .

أبطل ألانت المحرك عندما أحس أن مروحة الدفع تدور بصعوبة . فلم يكن يود أن تحدث أى مشاكل لمروحة الدفع . فقام بجس القاع بالمذراه . وتبين له عدم وجود بوص ، حيث أن المياه عميقة وتسمح بمرور « الملكة الأفريقية » .

كان المجرى ينقسم الى مجريين ، وكان على روز أن تختار أحدهما . فأدارت روز الزورق تجاه المجرى الذى بدا أفضل . وأثناء سيرهما ، تزايدت كثافة البوص أكثر وأكثر . وفجأة توقف سير الزورق . فقام ألانت باغلاق محبس البخار . وقال : « نحن نسير على الأرض » .

قالت روز : « أعرف ، لكن يجب أن تمضى . سنقوم بتسيير الزورق بطريق الدفع بالمذراه . وهكذا

سينزلق الزورق فوق الطين ، لأننـا لانستطيع تشغيل مروحة الدفع » ·

وشرعا فى المضى على هذا النحـــو · ألانت فوق المقدمة يدفع بالمذراه فيتحـرك الزورق قدمين · وروز تتشبث بالبوص الذى يمكنها أن تصل اليه من الجانب لتساعده بقدر ماتستطيع لدفع الزورق الى الامام ·

كان الجو حـــارا ، والبوص يسد منافذ الهواء ، والشمس تسطع فوقهما ، وما ان أحست بهما الحشرات حتى بدأت تهاجمهما بكثافة · كانت المهمة صعبة جدا · بعد مضى ساعتين كان ألانت يتنفس بصعوبة ، وعندما كان يفتح فمه لسـحب الهـــواء ، كانت الحشرات تدخل فيه ·

وأخيرا قال : « أنا آسف ، لا أستطيع المواصلة على هذا النحو » ·

فقالت روز : « لا بأس ، ناولنى المذراه » ·

قال ألانت : « انها عملية صعبة جدا » · لم تهتم روز بما قاله ، واتجهت ناحية المقدمة والمذراة فى يدها · أما ألانت فقد سقط فى أرضية الزورق · لقد عمل من أجل روز حتى سقط ·

اكتشفت روز أن المهمة ثقيلة ، وتحتـــاج الى كل ما لديهـــا من قوة ، ولن يمضي وقت طويل حتى تستهلك • أخيرا ألقت بالمذراة واستلقت فى مؤخـرة الزورق • وتبعتها الهوام بالآلاف •

قالت : « سنواصل ذلك غدا »

كان البوص فى ذلك المكان مرتفعا ، فأصبحا فى ظله ، لكن الزورق كان ساخنـــا جدا لدرجـــة أنك لاتستطيع لمسه • والذباب أسوأ من أى شىء آخر •

وبعد فترة نهضت روز وحاولت أن تعـــرف أين هما • لم تكن تتوقع أن يستغرقا اليــوم كله فى المضى عبر البـــوص ، وهاهو اليــــوم انتهى ولايزالان فى منتصف الطريق • ولا توجد شواهد تشير الى عبوره على الاطلاق •

لو أن أحدا أقل شجاعة من روز ، لبدأ يتســاءل عما يمكن أن يحدث لهما ، اذا اكتشف أنه من غير الممكن مواصلة طريقهما • حيث لم تعد هنـــاك فرصة لدفع الزورق بمؤخرته ، والعودة به حيث بدءا • من المؤكد أنهما ســـيظلان فى هذا المكان حتى ينفـــد طعامهما ويموتا ـ أو يغرقا فى الطين عندما يحاولان الوصـــول

الى الشـــاطىء على أقدامهما • لكن روز لم تحـــاول تخيل ما يمكن أن يحدث •

وقالت لنفسها وهى تطرد الذباب : « لو أننا فشلنا ، فسيكون ذلك لأننا لم نجهد أنفسنا بشـــدة كما ينبغى » •

(١١)

المحاولة مازالت مستمرة

لم تكن هنـــاك حاجـة لربط الزورق فى تلك الليلة : فقد كان من الواضح أنه لايوجد شيء يستطيع تحريكه ، شعرا بالكاد بالريح التى هبت أثناء العاصفة خلال الليل · كانت الريح تثنى البوص فوق القارب ، فيصبح أشبه بالسقيفة ، منعت عنهما الشعور بها · لكنهما عانيا من المطر المنهمر فوقهما ·

قال آلانت : « هناك فائدة واحدة لهذا المطــر ، فمن الممكن أن تصبح المياه أعمق · فنصف بوصـــة يحدث فرقا كبيرا ، ألا تمطر أكثر من أجلى » ·

وفى وقت متأخر من تلك الليلة ، وبعد أن توقف المطر بفترة طويلة ، سمعت روز فجأة صـــوت جلبة ،

وكان الانت مستغرقا في النوم · كان الصوت ، جلبة جريان الماء · جاء هذا الصوت الحميم من كل ناحية ـ فقد اندفعت المياه القادمة من النهر ، لتشق طريقها خلال البوص ·

قبل أن يستيقظ الانت ، كانت روز تقف محاولة أن تقــرر اى طريق تتخذ · أخذ الانت مكانه ، وبدأ العمل اليومى ·

قال : « أعتقد أننا نطفو الآن بعيدا عن القاع » · ثم تناول المذراة ودفع الزورق فابتعد عن الشاطىء ، فصاح قائلا : « أجل ، لاشك فى ذلك · آه لو لم يكن يوجد هذا البوص ·· » ·

كان المجرى ضيقا جــدا ، والبوص يضغط على الزورق من كلا جانبيه أثناء تحركه · كانت كل دفعة تحرك الزورق قليلا الى الأمام ، ثم يتراجع عدة بوصات الى الخلف · قامت بمساعدته ، فقد كانت تتحــرك جيئة وذهابا فوق الزورق لتخلصــه من البوص الذى كان يعوق سيره ·

صحيح أنهما كانا يتحــركان ببطء ، لكن كان هناك أمل ، وأمكنهما تحديد مكانهما بواسطة الشمس ، وعرفا انهما يتجهان نحو البحيرة تقريبا ·

فجأة أطلق ألانت صيحة فرح : « يوجد مجرى آخر هنا » • فاسرعت روز الى المقدمة لترى ذلك •

أجل : لقد عثرا على مجرى آخر ، مياهه خالية من البوص ، وشعرا بتحرك الزورق : صحيح أنه كان يتحرك ببطء ، لكنه كان يتحرك ! •

صاح ألانت بنوع من المداعبة : « أنظرى هناك ، ياروز ! أنظرى ! سوف نقابل بعض الجنادل ! » •

وهكذا ، كان مازال بامكانهما أن يضحكا •

كان شيئا مبهجا ، أن يشعرا بأن الزورق يتحرك بحرية تامة مرة ثانية • ألقى بالمذراة على أحد الجذور ثم دفع بقوة ، فتحرك الزورق مسافة أربعة أقدام فى المياه ، وواصل تقدمه ، بينما كان ألانت يبحث عن مكان آخر يلقى فيه بالمذراة •

صاح ألانت : « عظيم ، نحن نسير بسرعة عدة أميال فى الساعة ! » •

عندما وصلا الى أحد المنحنيات استطاعت روز رؤية أشجار على الشاطىء أمامها مباشرة • والمجرى أصبح أكثر اتساعا ، ولم يعد هناك مزيد من البوص •

تحركت « الملكة الأفريقية » ببطء الى حد ما ، ثم توقفت · فقد ظهرت على المدى البعيد بحيرة صغيرة تنمو على شطآنها الأشجار · كان سطح البحيرة مغطى بنباتات الزنبق المائية ، ذات الزهور الحمراء والبيضاء ، التي تنمو متجاورة الى بعضها بحيث لايرى الماء · كانت هناك رائحة عطنة ، أما الشاطيء البعيد فكانت تنمو عليه أشجار ذات شكل غريب تغطيها نباتات متسلقة ·

قال ألانت : « لن يكون من السهل الوصول اليها خلال ذلك المجرى » ·

قالت روز وهي تشير بأصبعها : « هناك مجـرى آخـــر » ·

قال ألانت : « أعتقد أنك على صواب ، كل ما علينا أن نفعله الآن الوصول الى هناك » ·

كانا قد قابلا جزءا مثـــل هذا الجزء في منطقة أعالى النهر مغطاة بنباتات الزنبق المائية · لكنها كانت قليلة المساحة واستطاعا اختراقها بسهولة ، أما هنا ، فيتحتم عليهما اجتياز مئات الياردات ·

قالت روز : « دعنا نحاول » ·

قال ألانت : « بالطبع ســـوف نقوم بالمحاولة · سنحاول بالطبع ! »

لم يكن الأمر سهلا . فلم يكن هناك شيء يمسكون به لدفع أنفسهم الى الأمام ، في حين كانت النباتات تضغط بشدة على الزورق مثلما كان يفعل البوص ، وشعر ألانت أن النباتات تلتف حول مروحة الدفع . كما أن القاع كان طينيا لزقا ، وكان من الصعب غرز المذراة فيه . لدرجة أنه عندما انتشلها تحرك الزورق الى الخلف بنفس المسافة التي تحرك بها الى الأمام . وانبثقت من المياه رائحة غاز نفاذ .

قالت روز : « ألا نستطيع أن نجرب التجديف » ؟
قال ألانت : « من الممكن » .

تناول كل منهما قطعة خشب مفلطحة وبدءا المحاولة . كانت الحركة بطيئة جدا وصعبة جدا ، لأنه كان يتحتم عليهما الانحناء فوق جانبي الزورق وبطريقة غير مريحة للغاية ليقوما بالتجديف . بعد عدة دقائق شعرا بآلام لاتحتمل تحت ذراع كل منهما ، ولهذا كان ألانت وروز يتبادلان الانتقال من جانب الى آخر بسبب ذلك .

كانا يتحركان ببطء شديد ، لدرجة أنهما لم يكتشفا متى توقفا تماما . وواصلا التجديف ، ثم نظر كل منهما للآخر .

قال ألانت : « هناك شيء أمسك بنا » ٠

ـ « أجـــل » ٠

ـ « شيء ما تعلق بمروحة الدفع ٠٠ هناك شيء واحد يمكن القيام به » ٠ وأخرج سكينة ٠

حاولت روز أن تمنعه ، فالنزول الى الماء وسط هذه النباتات فى منتهى الخطورة ، لكن كان عليه أن يتحدى الخطر ، والا فلن يستطيعا المضى الى الأمام ٠

قالت : « لابد أن نكون حذرين « ٠ كان ذلك كل ما أمكنها قوله ٠

قال ألانت : « نعم ٠ سأربط هذا الحبـل حول وسطى ٠ وفى كل مرة أغوص فيها تشرعين فى العد حتى خمسين ، فاذا لم أصعد ، اجذبى الحبل » ٠

قالت روز : « حاضر » ٠

أدلى ساقيه على جانب الزورق ٠ لم يكن الخطر يكمن فى هذه النباتات فقط : وانما كان هناك احتمال بحـدوث شيء سيىء جدا ٠ لم تستطع روز أن تقـــدر كم الرعب المخيف الذى كان بداخله ٠ نزل الماء وهو يقبض على السكين بيده ٠ تنفس بعمق لعدة مرات ٠٠ ثم اختفت رأسه وكل جسمه تحت الماء ٠ بدأت روز

فى العد • وعند ثلاثين بدأت فى جذب الحبـــل ••
ظهر ألانت • وقبل أن يأخذ نفسه أو يفتح عينيه ، كان
عليه أن يزيح الوسخ من على وجهه •

ـ « هناك كتل كبيرة من النباتات حول مروحة
الدفع • من السـهل ازالتهـا • ولقـد أزحت الكثير
بالفعل • حسن ، سأغوص ثانية ! » •

بعد المرة الرابعـة خرج ألانت مبتسما وقال :
« لقد أزلت كل الأعشاب ! خذى السكين ، لأقفز داخل
الزورق » •

ساعدته روز فى ازالة الأعشاب النباتية الملتصقة
بجسمه • وما لبثت أن أطلقت صرخة صغيرة •

كانت توجد على جسمه وذراعيه وساقيه حشرات
سوداء صغيرة ملتصقة بجـلده ، تمتص دمه • ارتعب
الانت لرؤيتها •

وقال باعياء : « أيمكنك نزعها ؟ » •

ـ « كلا • لاينبغى أن أفعل ذلك : فقد يؤدى ذلك
الى تسمم الجروح • الملح هو الذى يخلصك منها » •
أسرعت لاحضار علبة الملح • سقطت الحشرات العالقة
على أرضية الزورق • وداس ألانت بقـدمه على أول
حشرة فانبثق الدم منها ـ دمه هو ـ تحت قدمه •

القت روز الباقى منها فى النهر · واستمر الدم يسيل من جسم آلانت ويجف عليه ، تحت الشمس الساخنة · واخيرا توقف الدم ·

قال آلانت : « دعينا نبتعد عن هذا المكان » · فقد كان يكره هذه الحشرات العالقة ، أكثر من أى شيء آخر على وجه الأرض ·

مضيا ببطء ـ ببطء شديد · وما أن حل وقت ما بعد الظهيرة حتى بدأت الزهور الحمراء تقترب منهما ·

كانت الشمس قد انخفضت الآن ، فنتج عن ذلك خط من الظل على حافة النهر ، بالقرب من الأشجار · وصلت « الملكة الافريقية » الى الشاطيء ، غطى الظل مؤخرة الزورق ، فالقى آلانت قطعة الخشب من يده وقال وهو يكاد يبكي : « لا أستطيع فعل أى شيء آخر » ·

واشاح بوجهه بعيدا عن روز حتى لاتراه ·

بعد أن تناول طعامه وشرابه ، شعر بانه أفضل بكثير · وفى المساء كان بامكانه أن يضحك ·

وقال : « لكي نصل الى هنا استخدمنا البخار ، وقمنا بدفع الزورق بواســطة المدراة ، ثم ســيرناه بهاتين القطعتين من الخشب • والشيء الذى لم نفعله ، هو أن نحمــل الزورق على أكتافنا • وأعتقد أن ذلك سيحدث •

تذكرت روز تلك الكلمــات فيما بعــد • وهذا ما سيأتي ذكره •

(١٢)

أشـجار المانجروف

في الصـباح لم يكن هنـــاك الا خط ضيق من نبـات الزنبق المائى • فاندفعـــا بحماس لاختــــراقه يحدوهما أمل جديد • لم يستطيعا رؤية بداية المجرى • فليس هناك شيء أسوأ من هذه النباتات المائية •

عندما بدأت تظهر الأشجار ـ أشجار المانجروف ـ بدأت نباتات الزنبق المائية فى التلاشى ، لأنها لا تنمو فى ظلال الأشجار •

وصلا الى فتحة المجرى وتطلعا الى امتداده • كانت الأشجار تكون حائطين على كلا الجانبين ، وتتشــــابك لتصنع سقفا فوق المجــــرى • كان الظــلام شديدا ، ورائحة العطن تملأ أنفيهما ، لكنهما كانا ســـــعيدين

بوصولهما الى أى مكان مهما كان قبيحا ، مادام السير فيه كان سهلا .

عندما خرجا من منطقة النباتات المائية ، توقفا وتطلعا الى الماء .

قال ألانت : « ياه ! الأعشاب مرة أخرى ! » .

فقد كانت الأعشاب نامية فى القاع وتكاد تملأ المجرى .

واستطرد ألانت : « لايمكننا السير بواسطة المحرك هنا . لأن مروحة الدفع لايمكن أن تدور مع وجود هذه الأعشاب .

تطلعت روز ثم قالت : « أى مجرى آخر سيكون أسوأ من هذا . هيا بنا ! » ثم شرعا في التجديف بقطعتى الخشب لدفع القارب .

كان الجو ساخنا بدرجة بشعة ، ويتنفسان بالكاد والماء نصفه طين ونصفه ماء .

قال ألانت : « سأحاول استخدام المذراة ، فمن الممكن أن نتحرك بطريقة أفضل » .

قالت روز : « يمكنني أن أستعمل المذراة . هل يمكنك صنع واحدة ؟ » .

قال ألانت : « بمنتهى السهولة » • وقام بطرق قطعة من الحديد على شكل اسطوانة قصيرة مدببة من ناحية واحدة ، وثبتها فى فرع طويل مستقيم •

وباستعمال المذراتين أمكنهما المضى بسرعة أكبر • وقفا جنبا الى جنب على مقـدمة الزورق يدفعان بالمذراتين فى المياه التى تطفو على سطحها أفرع الأشجار والجذور • كان يمضيان بسرعة نصف ميل فى السـاعة • فكرت روز : « لو أن عرض غابة أشـجار المانجروف ، عشرة أميال ، فمن الممكن أن نخترقها فى عشرين أو ثلاثين ساعة » • لكن الأمر استغرق وقتا أطول من ذلك فى الواقع •

سرعان ما جعلا المدخنـــة فى وضع أفقى وأنزلا المظلة حتى يمكنهما المرور تحت أفرع الأشجار المتدلية فوق الماء • كانت هناك جذور تمتد الى المجرى تحت الماء • أحيانا كانا يشعران بهـا من خـــلال المذراة ، فيبحثان عن مكان أعمق للمرور منه • أو يلفان حولها وفى أحيان أخرى كان يتحتم على ألانت أن ينزل من القارب ويسير فى الطين ليدفع « الملكة الافريقية » فوق الجذور • تذكرت روز كلماته التى قالها عن « نزولهم الى الماء وجمل القارب » •

في الحالات التي لايوجد فيهـــا منفذ للقــارب أو طريق للدوران ، كان الاثنان ينزلان في الطين لقطع الجذور لكي يمـــر الزورق ، كان الطين ينتشر في كل مكان ، ومع أي حركة كانت تنبعث منه الرائحة المعطنة • في أوقات الغروب كان يتحتم عليهما أن يفتشا جيدا لأكثر من مرة ، للتأكد من عدم وجود ذلك النوع من الحيات التي تؤدي لدغتها الى الموت •

أما لدغ الناموس فقد أصابهما بمرض الملاريـا : الذي تظهر أعراضه كل صباح ، باحســاس بالبرودة الشديدة ويستلقيان بلا حـول أو قوه • بعــد ذلك يشعران بسخونة ملتهبة • وأخيرا ينامان لمدة ساعة أو اثنين ، يستيقظان بعدها ولديهما القدرة على مواصلة سـيرهما •

كان المجرى ينحني يمينا ويسارا ، ففقد القدرة على تحديد الاتجاه الذي يسيران فيه • وعندما التحم المجرى بمجرى آخر ، كان عليهما أن يتطلعا جيــدا لمعرفة أي المجريين تتدفق فيه الميـــاه ، بالقـــاء بعض القطع من الخشب •

لم يريا الشمس مطلقا في تلك الغابة المظلمة •

ومضت الأيـام ، يوم يروح ويـوم يجيء : الى أن جاء يوم استطاعا فيـه رؤية النجوم في السماء رغم أن الظلام كان حالكا جدا · لم يعرفا كم من الأيام مرت عليهما · كانا يأكلان قليلا جدا ، لأن الطعام كان يفوح برائحة الطين والعطن · وأصبحت حياتهما أسوأ من حياة الحيوانات · وطوال الوقت كانا قلقين على مروحة الدفع ، وحريصين ألا يصدر منهما أي خطأ ولا انكسرت مرة ثانية · فالزورق ينبغي معاملته بحرص شديد ، ولابد من دفعه بوصة بوصـــة عند المنحنيات حتى لاتصطدم مروحة الدفـــع ببعض الجذور المختفيـــة تحت الماء ·

وأخيرا ظهر مجرى أكبر ، وبدءا يشعران بالأمل · فقد كانت أفرع الأشجار فوقهما من النـــوع الرفيع ، والمجرى عميق متسع · بعد ذلك أصبح المجرى متسعا جدا ، ووصلتهما أشعة الشمس ·

قال ألانت : » أتعتقدين أننـــا عبرنا الغابة ، ياروز ؟ » ·

·· دفعت بالمذراة نحو أحد الجذور ثم جذبته بشدة قبل أن تجيب ·

وأخيرا قالت : « نعم ، أعتقد ذلك »

ابتسم كل منهما للآخر عبر الزورق . كانت هيأتهما مرعبة ! كان الطين يغطيهما ، وشعر كل منهما ملبد بالطين ، ووجهاهما شاحبان ، وجلد بشرتهما أصفر من أثر الملاريا ، وعيناهما غائرتان . كانت هيأتهما أشبه بالانسان البدائى الذى عاش منذ آلاف السنين ، أكثر من كونهما مبشرة ومهندسا . لكنهما كانا لايزالان يبتسمان لبعضهما .

اتخذ المجرى طريقا آخر . لاتوجد فيه أشجار المانجروف .

همس ألانت : « بوص ! بوص ! » . لكن لايهم فقد تعامل مع البوص من قبل : وهو أفضل من أشجار المانجروف .

وقفت روز على مقدمة الزورق ، ألقت نظرة على البوص بقدر ماتستطيع أن ترى . ثم قالت : « البحيرة على الجانب الآخر من البوص » .

بدأت تفكر على الفور فيما ينبغى عمله بعد ذلك . سألت ألانت : « ما كمية الخشب التى لدينا ؟ » .

فقال ألانت : « كمية معقولة . تكفى لتسييرنا نصف يوم » .

ـ « ينبغى أن نحصل على المزيد من الخشب »

هناك على سطح البحيرة ، لن يكون من السهل الحصول على الخشب . وبالتالى لابد أن تكون لديهما كمية كبيرة ، تكفى للمهمة التى تنتظرهما .

قالت روز : « دعنا نتوقف ونجمع شيئا من الخشب » .

لم يكن آلانت يحب هذه المهمة ، ولا هى كذلك ، لكن كان لابد من القيام بها .

أصبح بامكانهما الآن رؤية السماء الزرقاء ، وكانا يتوقان بشدة للخروج من منطقة أشجار المانجروف اللعينة دون تأخير ، ولو لدقيقة واحدة .

قال ألانت : « الأفرع الخضراء لن تكون مجدية تحت الغلاية » .

أجابت روز : « انها أفضل من لاشيء . وأعتقد أنها ستجف بعد يوم أو يومين ، قبل أن نكون فى حاجة اليها » .

تطلع كل منهما للآخر . لقد كانت هذه الرحلة من أجل تحقيق هدف واحد ، هو تدمير « اللويزا » بالطوربيد ! . هذا الهدف الذى بدا فى لحظة بالنسبة

لألانت شيئا مجنونا ، أصبح الآن وشيك التحقيق .
صحيح أنه لم يفكر فيه لمدة أسابيع ، لكنه كان على يقين
بأنه سيأتي الوقت الذى يقرر التفكير فيه .

ربط « الملكة الأفريقية » فى شجرة مانجروف ،
وتناول فأسه وأنجز كوما كبيرا من الخشب داخل
الزورق .

أخيرا ، كان باستطاعتهما مغادرة منطقة أشجار
المانجروف ، الى منطقة البوص الآمنة المريحة .

(١٣)

رؤية العدو للمرة الأولى

كان هناك مجرى داخل البوص . وما ان عبرا احد المنحنيات حتى تجلت البحيرة أمامهما باتساعها - ومياهها الذهبية بقدر امتداد بصرهما ، وجزيرة أو جزيرتان تغطيهما الأشجار . كان البوص يحف المجرى من كلا الجانبين ، لكن ذلك لم يكن يهم : فقد كانت المياه الصافية تمتد أمامهما بعرض أربعين ميلا ، وبطول ثمانين ميلا ، بلا صخور أو نباتات مائية ولا أشجار مانجروف . أحسا بالحرية - حرية رائعة ! وكأنهما حيوانان هربا من قفص . ناما هذه الليلة بهدوء تام أكثر بكثير مما حدث لأيام سابقة .

صباح اليوم التالى لم يتحدثا عن تفجير « اللويزا » . فقد كان من عادة روز أن تنهي خطوة ، قبل أن تفكر فى الخطوة التالية .

قالت : « دعنا ننظف الزورق . فأنا لا أطيق هذا الطين وتلك الرائحة » .

كانت المياه حول الزورق صافية ونظيفة . غسلا الزورق كله . ورفعا الأرضية ونظفاها من تلك الرائحة التى كانت تصدر من المياه التى تحتهـا ، وغسـلا ملابسهما . شيء رائع ومريح أن يرتدى الانسان ملابس نظيفة منعشة .

فى تلك الليلة فكرت روز فى شيء كانت قد نسيته تماما منذ أن تركت مقر البعثة . فهى لم تتل صلواتها منذ أن وضعت قدميها على ظهر « الملكة الأفريقية » .. ولم تفكر حتى فى الرب ، وبالتأكيد فان الرب سيكون غاضبا عليها ! أسرعت بالركوع على ركبتيها وأحنت رأسها . أما ألانت الذى كان لايزال متيقظا ، فقد رآها وهى ترفع رأسها تجاه السماء ، وشفتاها تتحركان . لم يكن هو يصلى ، بل نسى حتى كيف يصـلى . وكون روز كانت قادرة على الصـلاة ، أظهر له ذلك كم هى أفضل منه بكثير . لكنه كان قانعا بأن يترك لها واجب القيام بالصلاة لكى ينجيهما الله من الخطر ، بنفس القدر عندما تركها تتولى قيـادة الزورق خلال منطقة الجنادل . بعد ذلك اغلق عينيه وسرعان ما استغرق فى النوم .

قامت بالصلاة كى يشمل الرب «الملكة الأفريقيه» برعايته ويساعدهما فى الوصـــــول الى « اللويزا » وتفجيرها ٠

أخيرا استلقت لتنام : بعد أن أصبحت أكثر هدوءا وسكينة ٠ شعرت بأن ضربتها التى ستقوم بها من أجل انجلترا ستنجح بالتأكيد ٠

وعندما استيقظت صـــباح اليوم التالى ، تلت صلواتهـــا وهى راكعـة على ركبتيها ، بينما كان آلانت يقف بعدم ارتياح على مقدمة الزورق ، مترقبا ٠ فقد عادت روز الى ما كانت عليــــه من قبـــل ـ الشفتان المزمومتان ، الوجــــه الســـاكن ، بينما كانت تتطلع عبر البحيرة ٠

كان أمامهـــــا شىء على مرمى البصر ٠ لـم تـــكن سحابة ، كان دخانا أسود ، تحته شىء أبيض صغير ، أجبرت نفسها على الكلام بهدوء :

قالت : « شـــــارلى ، تعـــــالى الى هنا ، ما هذا الشىء ؟ » ٠

كانت نظرة خاطفة من آلانت كفيلة بأن يعرف ٠ قال : « انها اللويزا » ٠

سألته روز : « الى أى ناحية تتجه ؟ » . لكن قبل أن يجيب ألانت ، قالت :

ـ « انها قادمة نحونا » . تماسكت ثم أردفت : « لاينبغي أن يرونا . ألا يمكن أن نتراجع قليلا لنختبىء في البوص ؟ » .

قال ألانت : « سوف يرون المدخنة والمظلة » . فقد قاما بالأمس برفع المدخنة وتركيب المظلة ، عندما نظفا الزورق .

قامت روز برفع المظلة ثانية من فوق دعائمها .

وقالت : « لديك وقت كاف لانزال المدخنة ، لن يكون فى امكانهم رؤيتها ، لأن البوص يمثل ساترا بيننا وبينهم » .

كان ذلك صحيحا ، لأن « اللويزا » بدت كنقطة صغيرة بالنسبة لهم ، وبالتالى ستبدو لهم « الملكة الافريقية » أقل بكثير بالنسبة لهم .

أخذت روز تراقب « اللويزا » بعناية ، فقد أصبحت أقرب فى تلك اللحظة ، وهى متجهة جنوبا نحو ساحل البحيرة . أصبحت أكبر الآن ، لكن كان أمامها ساعة على الاقل قبل ان تصل الى مصب النهر ، وفى هذه الحالة من الممكن أن يروا « الملكة الأفريقية » خلف البوص ؟

قالت روز : « هيا نعود الى البوص الآن » .

أدارا الزورق فأصبحت مقدمته ناحية البوص ، ثم دفعاه بواسطة الخطافين ، فاختفى نصفه الأول داخل البوص ، أما المؤخرة فكانت خارج البوص .

قالت : « لابد أن تقطع بعضا من هذا البوص . ما هو عمق الطين ؟ » .

دفع ألانت الخطاف داخل الطين ثم أخرجه ونظر اليه بشك .

قالت روز : « أسرع ! » .

تناول ألانت سـكينة وانزلق من فوق جانب الزورق . نزل فى الطين ولم يعد ظاهرا منه سـوى ذراعيه . ثم شرع فى تقطيع البـوص الذى يمكنـه الوصـول اليه .

كان يقطعه من قرب جذوره بقـدر ما يستطيع . ثم دفع نفسه بعد ذلك الى داخل الزورق ، وقامت روز بدفع « الملكة الأفريقية » الى المكان الذى خلا بتقطيع البوص .

قالت : « مازال هناك جزء ظاهـر من مؤخـرة الزورق . يجب أن تنزل مرة ثانية » .

نزل آلانت ثانية الى البوص وشرع في تقطيعه • ثم صعد ثانية وقام الاثنان بدفع الزورق في المكان الذى خلا ، بحيث أصبحت مؤخرة القارب مختفية بالكاد •

قالت روز : « من الأفضل لو أننا توغلنـــا قليلا داخل البوص » •

وهكذا نزل آلانت للمرة الثالثة • ..

بعد هذه المرة أصبح المكان كافيا لاخفاء الزورق داخل البوص الكثيف ـ خاصة المؤخـرة التى أخفتها أعواد البوص التى استقامت مرة ثانية ـ وهكذا أصبحت « الملكة الأفريقية » فى مأمن تام من « اللويزا » حتى ولو اقتربت من المجرى وهذا محتمل جدا •

كان باستطاعة روز وآلانت أن يشـــاهداها من فوق أطراف البوص اذا وقفا على سطح الزورق • كانت « اللويزا » تسير فى طريقهـــا ، على بعـد ميل من الشاطىء •

كانت فى مواجهة فتحة المجرى تقريبا ، ولم تبدر منها أى علامة على الدوران الى الخلف • أخذا يراقبانها لمدة خمس دقائق • بدت جميلة بدهانها الأبيض ولامعة على صفحة الماء الزرقاء ، والعـــلم الألمانى يرفرف على



روز والانت يراقبان اللويزا

مؤخرتها • وعلى المقـــدمة أمكنهما رؤية المدفـع الذى يؤهلها للسيطرة على البحيرة • اذ لايستطيع أى قارب الدخـــول الى البحيرة الا اذا ســـمحت له « اللويزا » بذلك •

في تلك اللحظة كانت قد مـرت من أمام المجرى متجهة ناحيـــة الجنوب • لم يعد هنـــاك خطـر من اكتشافهما : فقد كانت تقوم بجولة تفقدية عادية فى أرجاء البحيرة ، للاطمئنان أن كل شيء على مايرام •

راقبتها روز وهى تمضى بعيـــدا ، ثم جلســت متثاقلة على مؤخرة الزورق •

وقالت : « لقد بدأت نوبة الملاريا تعاودنى » •

قام ألانت بما يستطيع أن يفعله لمساعدتها •

ثم قال : « لقد بدأت تعاودنى أنا الآخر » •

وسرعان ما أصبح الاثنـــان لاحول لهما ولا قوة ، يشعران ببرودة ثلجية تحت أشعة الشمس الساخنة •

(١٤)

خطـة الهجـوم

انتهت نوبة الملاريا متأخرا بعد الظهر • نهضت روز واقفة على قدميها بعدم ثبات • أما آلانت فكان قد استيقظ لتوه من نومه بعد نوبة الملاريا •

وقفت روز وتطلعت من فوق شواشي البوص • فرأت تجاه الجنوب دخان السفينة ، وتحته شيء أبيض صغير ، ظننت للحظة أن السفينة تمضى فى طريقهـا المعتاد • بعد ذلك اكتشفت أن ذلك غير صحيح • فقد مضت السفينة نحو الجنوب حتى غابت عن الأنظار ، ثم مالبثت أن عادت ثانية • جاء آلانت ووقف بجوار روز : وشرعا يراقبـان السفينة ، وهى تقترب مـن الشاطىء فبدت أكبر وأوضح •

همس ألانت : « أتعتقدين أنهم يفتشون عنا ؟ »
قالت روز : « كلا ‧‧ ان السفينة تقوم بجولتها المعتادة لمراقبة الشاطىء » ‧

تمنت روز أن يكون ذلك صحيحا ، لأن مهمتها ستكون مستحيلة ، لو أن الألمان كانوا يفتشون عنهما ‧

قال ألانت : « آمل أن تكونى على صواب ‧ أعتقد أنك كذلك » ‧

قالت روز فجأة : « انها الآن تمضى فى طريق مغاير » ‧ فقد استدارت اللويزا وابتعدت عن الشاطىء ‧

قال ألانت : « اذن فهم لايفتشون عنا » ‧

أخذا الاثنان يراقبانها وهى تمضى عبر البحيرة باتجاه الجزر المقابلة ‧

تساءل ألانت : « ترى ماذا ستفعل ! » ‧ لكنه كان أول من لاحظ أنها توقفت ‧ فقال : « انها ترسو هناك بين الجزر أثناء الليل ‧‧ أنظرى ! » ‧

لقد اختفى العلم من على مؤخرة السفينة ‧

ــ « حسن ، هاهم هناك ، وسوف يتوقفون فهذا مكان مناسب بين الجزر لترسو فيه السفينة ‧ سوف نراهم فى الصباح وهم يغادرون المكان » ‧

نزل ألانت الى داخل الزورق ، بينما ظلت روز واقفة بأعلى . كانت الشمس قد غربت ، والسماء تلمع باللونين الأحمر والذهبى . ثم حل الظلام ولم يعد هناك مجال لرؤية « اللويزا » .

فكرت روز : « ماذا يحتم علينا الانتظار ؟ لابد أن نستعد ، ونخطط ونضرب ضربتنا من أجل انجلترا » .

وقالت لألانت وهى تكاد ترى طرف سيجارته المشتعل فى الظلام : « كان ينبغى أن نكون مستعدين لهم اليوم » .

قال ألانت : « لا بأس ، سيكون كل شئ على مايرام . سوف يعودون ثانية . فأنت تعرفين ما عليه الألمان : فهم يتبعون قواعد ثابتة ويحافظون عليها : فيوم الاثنين يستقرون فى مكان ، الثلاثاء فى مكان آخر . وربما يوم الأربعاء يكونون هنا . أنا بالطبع لا أدرى فى أى يوم نحن . لكننى أتوقع أن يكونوا فى « بورت لفنج ستون » يوم الأحد ، ويقضون اليوم بطوله . ثم يبدأون نفس الدورة ثانية يوم الاثنين » .

اتفق كل ما قاله ألانت ، مع ما كانت تعرفه روز عن الألمان .

قال آلانت : « عندما كنت فى المنجم ، كان « كوفمان » مدير المنجم ، يتحقق من أن كل شئ قد

نفذ على الوجه الأكمل • كانت قواعدهم بدون فائدة ؛ فقد تعود كوفمان أن يحضر مرة فى الأسبوع بشكل منتظم • وكان البلجيكيون يعرفون موعد حضـوره ، فكانوا يعدون كل شيء كمـــا ينبغى أن يكون عنــد حضوره • وعندما يحضر ، كان يلقى نظرة ويتنـــاول شرابا وينصرف • كان ذلك يجعلنى أضحك » •

ـ « أجل • وأذكر كم كان يغضب صـــــامويل الالتزام بقواعدهم الثابتة » •

لم يكن هناك شك فى أنه طالما رست « اللويزا » بين هذه الجزر مرة ، فانها ستعاود ذلك ثانية • وبناء على ذلك رسمت روز خطتها ! فقـــد عرفت ما ينبغى عليها عمله •

قالت بصوت رقيق : « شارلى » •

ـ « نعم ، ياروز ؟ »

ـ « يجب أن تبدأ فى صنع الطوربيد ، حتى يكون جاهزا • فلتبدأ غدا صباحا بمجرد أن يطلع النهار • كم من الوقت سيستغرق ذلك منك ؟ » •

ـ « باستطاعتى وضـــع المتفجـــرات داخـــل الاسطوانتين بسرعة • أما بالنسبة لفتيل الاشـــتعال

فلا أدرى ، اذ ينبغى على أن أصنعه أولا ٠ من الممكن أن يستغرق ذلك يومين ، ذلك أننى لم أفكر فى كيفية صنعه بعد ٠ لابد فى البداية أن نثقب فتحتين فى المقدمة : ولن يستغرق ذلك طويلا ٠ من الممكن أن ننتهى من كل شىء خلال يومين ، اذا لم تعاودنا نوبات الملاريا ٠ الأمر يتوقف على فتيل الاشتعال » ٠

ـ « لا بأس » ٠

كان هناك شىء غريب فى صوت روز ٠

قال ألانت « روزى ياعزيزتى ٠ روزى » ٠

ـ « نعم ، يا عزيزى ؟ »

ـ « أعلم ما تفكرين فى عمله ٠ لا داعى لمحاولة اخفائه عنى » ٠

كان صوت ألانت رقيقا جدا ٠ تناول يدها فى الظلام وقال لها : « لاداعى لاخفائه عنى ، ياعزيزتى ، ليس الآن أنت تريدين الاندفاع « بالملكة الأفريقية » ليلا نحو « اللويزا » عندما تعود ثانية الى هنا ، أليس كذلك ؟ ألا تسمعيننى ؟ ٠

ـ « نعم » ٠

قال ألانت : « أعتقد أن هذه أحسن فرصـــــة بالنسبة لنا · آمل أن نكون قادرين على اغتنامها » ·

ظل ألانت صامتـــا لعدة لحظـــات ، ثم قال : « ليست بك حاجة لأن تتواجدى فى الزورق ، ولاداعى لوجودنا نحن الاثنين · فبامكانى تنفيذ ذلك بسهولة » ·

قالـــت روز : « كلا ، بالطبع · لـــن يـكون ذلك صحيحا · انه أنت الذى يجب أن يبقى · فأنا أستطيع المضى بالزورق الى هذه الجزر · أســـتطيع فعل ذلك وحدى · وهذا ماكنت أنوى فعله » ·

قال ألانت : « أعرف · أعـــرف أن ذلك ماكنت تنوين فعله · لكن ذلك ما يجب على أن أفعله · فهذا عملى · بالاضافة الى أن أولئك الألمان ·· » ·

وهكذا استمرا فى الحوار · كان ألانت على استعداد تام بأن يضحى بحياته التى بدت غاليـــة بالنسبة له · فقد أصبحت خطة روز واقعا بالنســـبة له ، مهمة ، يجب أن ينهيها ، ومن الخطأ ألا يتمها · فان منظـــر « اللويزا » وهى تبحـــر بخيلاء فى البحيرة ، قد أثار غضبته · وكان لابد له أن يفعل شيئا لايقاف ذلك ! ولسوف يرون ذلك قريبا !

ومن ثم تخلى الاثنان عن اتفاقهما المبكر بارسال « الملكة الأفريقية » • فى رحلتها الأخيرة دون وجود أحد منهما عليها • ذلك أن روز قد عرفت الكثير جدا عن الزورق ، وأدائه غير المضمون الآن بصفة خاصة : وبالتالى لم تشأ أن تثق به •

قال ألانت : « حسنا ، سوف أقفز من مؤخرة الزورق قبل أن يرتطم باللويزا ، سأقفز فى اللحظة التى أكون متأكدا من أن الزورق على وشك الاصطدام ، سأكون فى المؤخرة والمتفجرات فى أعلى المقدمة ولن تؤذينى » •

كان بطبيعة الحال يعلم ما يمكن أن تفعله مائتا رطل من المتفجرات ، وأعتقد أن روز لاتدرك ذلك • لكنه أدرك أنه اذا أظهر ان المهمة سهلة وآمنة ، فان روز ستقول بالتالى : « طالما أن المهمة سهلة وبسيطة ، فانه بامكانى القيام بها وحدى » •

فى النهاية قرر الاثنان أن يقوما بالمهمة معا • ففى ذلك نجاح مؤكد للمهمة ، خاصة اذا تولى أحدهما القيادة والثانى ملاحظة المحرك • كما قررا كذلك أنه عندما يكونان على بعد خمسين ياردة من « اللويزا » يقفز أحدهما من أحد جوانب الزورق •

« فكر ألانت بأن روز ستطلب منه أن يقفز أولا ، وكذلك فكرت روز بأن ألانت سيطلب منهـــا أن تقفز أولا » .

قال ألانت : « أمهليني أسبوعا من الآن » .

وقفت روز في الظـــلام وأخذت تتطلع مـــن فوق شواشي البوص عبر البحيرة . ونجوم السماء تنعكس على صفحة الماء . والقمر لم يطلع بعد . لكن كانت هناك أضواء خافتة ، ليست أضواء نجوم . فضغطت على ذراع ألانت .

فقال ألانت : « انها أضواء السفينة » .

فكرت روز : « لكنهم لو أطفأوا هذه الأضواء عندما تكون السفينة راســـية ، فلن يكون في استطاعتنا أن نصل اليها .. لكن لماذا يتحتم عليهم أن يفعلوا ذلك ؟ فهم على متن السفينة الوحيـدة الموجودة على سـطح البحيرة : هذا ما يعتقدونه ـ وعلى بعد أربعين ميـــلا من عدوهم ، الذي يوجد على البر . اذن فليست بهم حاجة لاخفاء أضواء السفينة » .

كان مشهد هذه الأضـــواء كفيلا بجعـل نجاحهما مؤكدا تماما .

(١٥)

الطــوربيد

في الصباح أبحرت « اللويزا » باتجاه الشمال في رحلتها المعتادة في البحيرة للقيام بالحراسة ٠

قالت روز : « سنكون مستعدين لها عندما تعود »٠

قال ألانت : « أجــل » ٠

بمساعدة روز أخرج ألانت اسطوانتي الغاز من قاع الزورق ودفع بهما الى وســــط الزورق ٠ ثم قام بفتحهما وترك الغاز يخرج بهسيس مرتفع ٠ بعد ذلك نزع الجزء العلوي من كل اسطوانة ، فبدت مفتوحة ٠

فتح الاثنان صناديق المتفجــرات بعناية شــديدة ، حيث كانت ملفوفة في عبوات مستديرة من الورق الأصفر

المشحم • ثم بدأ ألانت فى تعبئة الأسـطوانتين بحذر شديد يطول ذراعه •

ـ « سيكون من الأفضل لو أن المتفجرات تلتصق ببعضها وتصبح كتلة واحدة • لكن كيف يتسنى لى فعل ذلك ؟ » •

تلفت حوله ليجد أى شىء يضغطها به •

ثم صاح : « آه ! الطين ! هو المادة المطلوبة ! » •

ذهب الى مقدمة الزورق وملأ كفيه بالطين الأسود من قاع المجرى ، ثم نشره على سطح القارب حتى يجف تحت أشعة الشمس •

قالت روز وقد أدركت ماذا يقصد بذلك : « سأقوم أنا بذلك » •

كانت روز تعتصر الطين لتخرج منه الماء ، ثم تنشره ، واستمرت فى ذلك حتى أصبح ذا قوام تقريبا • ثم حملته الى ألانت وشرعت فى اعداد المزيد من الطين •

ورويدا رويدا ملأ ألانت الأسـطوانتين ، مثبتا المتفجرات بواسطة الطين • عندما امتلأت الاسطوانتان حتى الحافة ، نهض ودعك ظهره المتعب •

قال بفخر : « لقد تم كل شىء على مايرام » •

قالت روز : « أجل » ٠

ثم وقف الاثنان يتطلعان الى ما أنجزاه من عمل خطير ، كما لو أنهما قاما بعملهما اليومى المعتاد ٠

قال ألانت : « ينبغى علينا أن نصنع فتيل الاشعال الآن لدى فكرة ، فكرت فيها الليلة الماضية » ٠

أخرج بندقية من صندوقه ، كانت مغطاة بعناية بطبقة من الشحم لحمايتها ، من الصدأ ٠
فوجئت روز تماما ، فقد كانت أول مرة تعلم فيها بوجود شيء مثل هذا ٠

فسر لها ألانت سبب وجودها قائلا : « كان لابد أن تكون معى بندقية ، لأننى كنت أحيانا أحمل كمية من الذهب فى الزورق أثناء ذهابى الى لمباسى لكننى لم أطلق الرصاص أبدا على أى أحد » ٠

قالت روز : « أنا سعيدة لأنك لم تفعل ذلك ٠ ان اطلاق الرصاص على لص زمن السلم ، يبدو أفظع بكثير من تفجير سفينة زمن الحرب » ٠

فتح ألانت البندقية وأخرج طلقات الرصاص ٠

قال : « والآن ، دعينى أفكر ٠٠ » ٠

أخذت روز تراقب العمـــل الذى يقوم به ألانت وهو يتشكل بين يديه ٠

استغرقت المهمة وقتا طويلا بسبب الأكل والنوم ونوبات الملاريا ٠ ولم تنتهى قبل انقضاء يومين ٠

فى البداية ، قطع بسكينه قطعتين مستديرتين من الخشب تتناســبان مع مقاس فتحة الاسطوانتين ٠ ثم ثقب فى كل منها ثلاثة ثقوب ، تسمح بتثبيت طلقـــة رصاص فيها ، وتكون الطلقات موجهة ناحية المفرقعات ٠

أما الجزء الثانى من العمل فقد كان أكثر صعوبة، فقد واجه ألانت الفشل عدة مرات قبل أن يصبح راضيا عما فعل ٠ فعلى ســبيل المثـــال قام بقطع قطعتين من الخشب بنفس المقاس مثل القطعتين الأوليين ، لكنه كان حريصا جدا على نوع الخشب الذى أختــاره ، فلابد ألا يكون صلبا جدا أو رقيقا جدا ٠ بمعنى أن يكون خشبا لا يسهل فيه دق المسامير فقط ، بل تحمل عدة مسامير بحيث تصبح ثابتة ٠ واســتطاع أخيرا أن يقوم بدق المسامير بعد أن اختار قطعة خشب من ألواح أرضـــية الزورق ٠

لم تستطع روز أن تستوعب الفكرة تماما ٠ كان ألانت يعمل تحت وهج الشمس ، تحيط به سحب من

الحشرات · وروز تجلس والى جانبه تراقب وتناوله الأشياء التى يطلبها ·

وضع ألانت قطعتى الخشب الثانيتين فوق القطعتين الأولين ، وقام بعمل علامة بدقة ، حيث المكان الذى سيرتكز عليه الجزء الأسفل من الطلقة (الذى توجد به الكبسولة) · ثم قام بدق المسامير فى القطعتين الثانيتين عند العلامات التى حددها · ثم ثبت القطعتين معا ــ قطعتان من الخشب لكل اسطوانة · فى احداهما تبرز المسامير التى تلامس كبسولة الطلقات ، المثبتة فى القطعة الثانية واتجاهها ناحية الاسطوانة حيث توجد المتفجرات · على أن توضع الاسطوانتان بأعلى مقدمة الزورق ·

ثم يندفع الزورق بأقصى سرعة ناحية أحد جوانب « اللويزا » · عند الاصطدام ستندفع رؤوس المسامير تجاه كبسولات الطلقات ، التى تنطلق بالتالى متجهة داخل الأسطوانات المليئة بالمتفجرات ، فيحدث الانفجار ·

قال ألانت : « كل شىء على ما يرام ، ولا أعتقد أننى أستطيع أن أفعل ما هو أفضل من ذلك · سوف تؤدى الغرض منها تماما » ·

كان يوجد فى كل اسـطوانة ثلاث طلقـات . واذا لم تنطلق كلها فعلى الأقل ستنطلق واحدة . وتوجد اسطوانتان ، وواحدة كفيلة بتدمير سفينة صغيرة مثل « اللويزا » .

قالت روز : « نعم . سوف تؤدى الغرض منها » .

ثمّ شرعا يتحدثان بجدية مثل طفلين يتحدثان عن بعض الألعاب .

قال ألانت : « لانستطيع وضع فتيل الاشعال فوق الأسطوانتين الآن . فهما فى منتهى الخطر . ومن الأفضل أن نضع الاسطوانتين فى مكان والمفجـرين فى مكان آخر . حتى تكون على استعداد لبدء المهمة » .

جال بذهن روز ما ستكون عليه لحظة البداية . فمن المؤكد أن دفع الملكة الأفريقية خارج منطقة البوص فى الظلام سيكون شـيئا خطيرا ، لوجود طوربيدين فى المقدمة ، معرضين للانفجار لأقل لمسة .

قال ألانت : « اعتقد أنه سـيكون من الأفضل أن نثبت المفجرين بعد أن نخرج من منطقة البوص » .

قالت روز : « أجل ، لكن الدنيـا ستكون ظلاما حينئذ . هل لديك القدرة لعمل ذلك أثناء الظلام ؟ » .

قال ألانت : « بـل ينبغي على أن أفعـل ذلك فى الظلام • ولسوف أقوم بذلك على مايرام » •

وضع ألانت المفجرين بحذر شديد داخل صندوق ، وبعد ذلك بدأ يفكر فى باقى التجهيزات الضرورية •

ــ « يجب أن نقوم بعمل فتحتين فى مقدمة الزورق للأسطوانتين • لابد أن يكونا منخفضين وفوق مستوى سطح الماء » •

كان عملا صـعبا جـدا • عندما انتهيا منه ، قام ألانت وروز بسحب الاسطوانتين الى الأمام ودفعا بهما الى الفتحتين ، حتى أطلت مقدمتهما لمسافة قدم الى الخارج • ثم قام بحشو الجوانب بقطع من الصـوف والقماش • ثبتها بقوة وكوم كل شيء يستطيع وضـعه فوقهما ، حتى يتسنى لقوة التفجير أن تندفع للأمام لتصيب جانب « اللويزا » ، وليس الى أعلى •• وبعد ذلك جلس •

قال : « لقـد أنتهينا الآن من كل شيء ياروز ، كل شيء ! نحن على أتم استعداد » •

كانت لحظة عظيمة ــ وبمثابة خاتمة لكل المجهود الذى قاما به ، عبور منطقة المنحدرات المائية ، والهروب

من منطقة الشونا ، اصلاح عمود الادارة ، النضال في منطقة البوص ، والنباتات المائية وأشـــجار المانجروف الآن اقترب موعد اتمام المهمة ٠

قال ألانت وهو يفكر في الأمــر : « يـاه ! مازال لدينا وقت ! اجازة ! » ٠

فلقد أنجزا العمـل بمنتهى السرعة ، وأصـــبحا الآن يعانيان من الانتظار الطويل ، لقد عملا بجدية تامة خـــلال فترة الصمت الكبير بينهما ـ الذى يـودان أن ينسياه ، لكن ليس أمامهما شيء يفعلانه الآن !

انتابهما احساس بالفراغ ، عندما فكرا في الأيام القادمة ، رغم أن هذه الأيام قد تكون آخر أيامهما على وجه الأرض ٠

أحس ألانت أنه أشبه بمسجون ينتظر اليوم الذى يتم فيه اعدامه ٠ شعر بالخوف والتفت الى روز ، التى أحست بما ينتابه من خوف ، وكان لديها القدرة على بث الطمأنينة في قلبه ٠ كان ينتابهما شعور من احتمال أن يبدأ كل منهما في كراهية الآخر أثناء فترة الانتظار الثقيلة في منطقة البوص وكأنهما في قبر ٠ استشعرا ذلك الخطر ، لكنهما قاوماه ٠

ساعدتهما العواصف التى هبت على التغلب على هذا الاحساس بالخطر ٠ كانت هناك سحب سوداء ،

ورياح ، والبحيرة مغطاة بموج أبيض ، جعل « الملكة الأفريقية » تتأرجح بهما داخل منطقة البوص ٠

ولكى يجعلا الوقت يمر سريعا ، قاما بتنظيف الزورق وصيانة المحرك ليطمئنا على أدائه بما يتناسب مع الرحلة الأخيرة ٠ غاص ألانت فى الطين تحت الزورق ليطمئن على مروحة الدفع وعمود الادارة ٠ ومن وقت لآخر كان كل منهما يقف على حافة الزورق متطلعا ، ليرى عما اذا كانت « اللويزا » قد ظهرت أم لا ٠ لم يشاهدا الا قاربين أفريقيين ليس الا ٠ فبدأ الشك يراودهما فى أن « اللويزا » لن تعود الى المكان الذى رست فيه من قبل ٠ وفى لحظات يائسة كان يشكان فى امكانية نجاحهما على الاطلاق ٠

فى ذات صباح ، تطلعا من فوق شواشى البوص ، فشاهداها كما من قبل تماما ـ مجرد دخان وشىء أبيض تحته ـ قادمة من الشمال ٠ ومثلما حدث من قبل ، اتجهت ناحية الجنوب ثم اختفت ٠ ومرت عليها عدة ساعات بطيئة لشكلها فى عودتها ، وأخيرا فى فترة ما بعد الظهر شاهدا الدخان يعود ثانية ، فتأكد لهما أنها سوف ترسو ثانية بين الجزر ٠

أخذ ألانت وروز يراقبان عودة « اللويزا » من رحلتها الى الجنوب ، وتوجهها الى منطقة الجزر ، ثم

توقفها فى نفس المكان الذى رست فيه من قبل • كان الاثنان قد طرحا أسئلة معينة خلال الأسبوع ، لكنهما لم يجدا لها اجابة • أما الآن فقد عرفا الاجابة • ما ان كفا عن مراقبة « اللويزا » وما كادا يشرعان فى اجراء الترتيبات للبدء : حتى توقفا وأمسك كل منهما بيدى الآخر ، ونظر فى عينى الآخر • كان كل منهما يعرف ما يفكر فيه الآخر •

قال ألانت : « عزيزتى ، روزى ، سوف ننطلق سويا ، أليس كذلك ؟ » •

قالت روز : « نعم ، يا عزيزى ، وكم أحب ذلك » •

فى اللحظة التى توجب فيها أن يقررا ، كانا قد قررا دون صعوبة • فقد تحتم عليهما أن يقفا جنبا الى جنب ، مع وجود فرصة متساوية للحياة أو الموت ، عندما تندفع « الملكة الأفريقية » محملة بالطوربيدين تجاه أحد جانبى « اللويزا » • فلم يكن فى استطاعتهما تحمل فكرة الانفصال عن بعضهما الآن •

كان الجو ظلاما ، والقمر هلالا صغيرا فى منحنى السماء : ولم يكن أمامهما سوى الاعتماد على النجوم لتمدهما بالضوء •

قالت روز : « أعتقد أن الـوقت آمن الآن لكى نستعد » ٠

استغرقت الاســـتعدادات وقتـا طويلا ٠ كانا يتوقعان ذلك ، لكن كان أمامهما الليل بطوله ٠ وكان أفضل وقت للوصول الى « اللويزا » هو الســـاعات الأولى من الصباح ، حتى يكون الهجوم مفاجئا ٠

تحتم على ألانت أن يغوص فى الطين والماء ليقطع البوص ويبعده عن مؤخرة الزورق ، حتى يمضـــيا بسهولة داخل المجرى ٠

عندما وصـــلا الى النهر أوقف ألانت الزورق وأخرج المفجرين من الصندوق نزل الى الماء من ناحية المقدمة ٠ وظل واقفا فى الماء لفترة طويلة حتى ثبت المفجرين فى فتحتى الاسطوانتين ٠ كانت مهمة صعبة استغرقت وقتا طويلا ٠ كانت الأمواج القـــادمة من البحيرة تجعل « الملكة الأفريقية » تتأرجح قليــلا ، مما جعل المهمة أكثر صعوبة ٠ فى حين كانت روز تقف على المقدمة تعاونه ٠ ولو أن يـده اصطدمـت بـرؤوس المســـامير فهذا معناه أن يتناثرا الى أشلاء ، وتظل « اللويزا » مسيطرة على البحيرة ٠

كان الجو مظلما جدا ٠ وكانت روز ترى بالكاد ، لتتحاشى الاصطدام بالطوربيدين حتى تكون فى أمان ٠

مد ألانت يديه الى جانب الزورق ثم دفع بنفسه الى أعلى .

همس قائلا : « لقد أنهيت المهمة » .

بعد ذلك قام بفرد المدخنة : وسبب ذلك ضجة بسيطة . استغرق كل ذلك وقتا طويلا .

توهجت النار تحت الغلاية ، وتصاعدت السنة اللهب من المدخنة .

همست روز : « سوف يرون ذلك » .

رد عليها همسا : « لا تقلقى . سأحاول أن أجعل ذلك لا يحدث عندما نقترب منهم » .

أدار ألانت المحرك ، فأرسل هسيسه فى الجو . ثم فك رباط الزورق ، وتناول المذراة ودفع الزورق الى وسط النهر : ثم وضع المذراة جانبا وفتح صنبور البخار . بدأت مروحة الدفع فى الدوران . وقفت روز فى المؤخرة واتجهت ناحية البحيرة . الآن هما فى طريقهما « لتسديد ضربة من أجل انجلترا » .

وصلت « الملكة الأفريقية » الى البحيرة .. لقد مرا بكثير من المصاعب والأخطار لانجاز هذه المهمة ، وها هى نهايتها أمام ناظريهما . والطوربيدان موجهان

نحو الهدف فى مقدمة الزورق ، ومجرد لمسة كفيلة بانفجارهما • روز تقف عند المؤخرة ، تكاد ترى ضوءا ضئيلا يشير الى مكان « اللويزا » • ولم تكن توجد نجوم فى السماء •

لو أن الوقت كان نهارا لأتيح لهما رؤية السحب السوداء المتجمعة في السماء ، ولشعرا بمدى ثقل الهواء • وعرفا أن تلك الريح الشمالية تنذر بقدوم عاصفة : وأدركا أن هذه الريح الشمالية السريعة القادمة من الجبال بامكانها اثارة موج البحيرة الى حد الجنون •

استشعرت روز حركة الزورق عندما أصبحت الأمواج ضخمة وشرسة • لم تكن تعلم أن « الملكة الأفريقية » لم تصمم للتعامل مع هذه المياه الشرسة •• فجوانبها منخفضة ، وقاعها مسطح • فأخذت الأمواج تضرب جانبيها وقمم الأمواج تنزل الى داخل الزورق • توقعت روز أن مثل ذلك يكون متوقعا فى هذه المياه المفتوحة • فلم تشعر بأى خوف •

خفت حدة الريح للحظة ، لكن الماء ظل شرسا • ثم هطلت الأمطار كنهر متدفق من السماء • والريح تزيد من ارتفاع الأمواج لتصبح كالجبال • وأخذ مقدم « الملكة الأفريقية » يعلو ويهبط محدثا صوت ارتطام •

كان الجو ظلاما ـ ظلاما دامسا • كل ما استطاعت روز أن تفعله أن تشدد قبضتها على الدفة وتظل واقفة • ولم تعد هناك فرصة لرؤية أضواء « اللويزا » •

كان الانت يقف الى جانبها ، ويضع ذراعه داخل طوق النجاة الوحيد الموجود فى الزورق • وبينما كانا واقفين الى جوار بعضهما حملته موجة بعيدا عنها • حاولت أن تناديه • لكنها شعرت بالمياه تغمرها من كل ناحية • وضربت موجة وجهها : ودخلت المياه فى أنفها ، فأصبح من الصعب عليها أن تتنفس •

انتهت حياة « الملكة الأفريقية » • فقد غاصت فى قاع البحيرة • وانتهت بالتالى مهمتها الجريئة لتدمير « اللويزا » • وبانتهائها ، انتهت العاصفة كذلك • تلاشت العاصفة ، وبدا كما لو أنها بدأت لمجرد مساعدة الألمان وحماية سفينتهم •

(١٦)

علـى ظهر اللويزا

تطلع قبطان اللويزا ناحية الأسـير ذى الهيئة الغريبة · حاول تجاهل رؤيته بشكله الحالى ، وانما كما يبدو فى ملابسه العادية · فقد كان شعر الرجل طويلا ومتسخا ، وذقنـه نابتـة بشكل مشوش ، لكن الوجه كان من النوع الذى يمكن أن تقابله فى أى يوم فى شوارع برلين · كان الأسير سقيما جدا وفى منتهى الاعياء : وبدا فاقدا للأمل ، ومريضا جدا · كان من الواضح أنه يعانى من الملاريا · كما أن ملابسه زادت من نظره الغريب · أراح القبطان ظهره على كرسى ، وقال لنفسه : « ربما يكون مجنونا ، فحالته لا تدل على أنه جاسوس ــ يحاول التعرف على تحركاتنا لمساعدة البريطانيين · كلا : ليس جاسـوسا · لأن الجاسوس لابد أن يشنق » ·

سرد الضابط شميدت التهم الموجهة ضد الأسير ، فقال : « شوهد الأسير في جزيرة « برنس ايتل » نهارا • سرعان ما قبض عليه – ولم يستطع – أو لم يرد – أن يقول أى شىء عن نفسه • وفى هذه الجزيرة توجد خزانات للبترول ، ويمكن لأى عدو أن يدمرها بسهولة • كما أن موقع الجزيرة يتيح فرصة كبيرة لمراقبة تحركات اللويزا • ولقد وجد فى مكان ممنوع التواجد فيه لأى أحد ، بأمر الجنرال فون هانكن ، فيما عدا أفراد الجيش الألماني • وطالما أنه غير ألمانى فلا يحق له التواجد حيث وجد ، ولابد أن يشنق » •

فكر القبطان وقال لنفسه : « لا داعى ، لمثل هذا الضابط أن يقول لى ماذا يجب أو ينبغى على عمله • من المحتمل أن يقول لى فيما بعد ، أنه قبطان اللويزا • ثم التفت الى الضابط شومان الذى كلف بالدفاع عن الأسير •

كان شومان رجـــلا عجوزا وليس لماحا • وقد اختاره القبطان لهذه المهمة لأن الضـــباط الست على « اللويزا » أحدهم يقوم بالمراقبة أعلى السفينة ، وآخر فى غرفة المحركات ، واثنان يقومان بالمحاكمة • ولم يبق غير شومان ليقوم بالدفاع • نطق بعدة كلمات ، ثم توقف • لأنه لم يكن يجيد الكلام •

نظر القبطان الى الأسير ، متوقعا أن يتكلم ٠

كان ألانت متعبا جدا وغاية في المرض ، حتى أنه لم يكن يعى ما يحدث ٠ كل ما كان يعلمه أن هناك محكمة ما وأنه يعامل كأسير ٠ لم يعرف لماذا يحاكم ـ وعن أى جريمة اقترفها ؟ ولا يدرى ماذا سيكون الحكم ٠ لم يكن يهتم ٠

فكر قائلا لنفسه : « لا شيء يهم الآن ، فلقد فقدت روزى ، و « الملكة الأفريقية » في قاع البحيرة الآن ، وانتهت محاولتنا العظيمة ٠ أنا مريض ، وكم أود أن أموت » ٠

تطلع الى القبطان والى الضابطين وقال لنفسه : « انهم يتوقعون منى أن أقول شيئا ٠ لكن ذلك سيكون متعبا جدا ، كما أنهم لن يفهموا » ٠

كان القبطان على علم أنه من واجبه أن يكتشف أى شيء يمكن أن يقال للدفاع عن الأسير ٠

فقال : « من أنت ؟ هل أنت بلجيكى أم انجليزى ؟ » ٠

كان القبطان يتحدث بالألمانية ، لكن ألانت لم يعرف سوى اللغة الانجليزية ٠

فقال : « انجليزى ، بريطانى » •

سأله القبطان بالألمانية : « ما اسمك ؟! ثم حاول تذكر انجليزيته فأعاد السؤال : « ما ـ اسمك ؟ » •

ـ « تشارلز ألانت » •

استغرق كتابة اسمه وقتا طويلا ، لأنه كان يمليه حرفا حرفا بالانجليزية •

سأله القبطان بالألمانية : « ماذا كنت تفعل فى الجزيرة ؟ » • لكنه لم يدهش عندما اكتشف أن الأسير لم يفهم • ففكر : « ربما يتحدث السواحلية » والسواحيلية لغة مشتركة يتحدث بها الناس فى شرق ووسط أفريقيا ، وكذلك بحارة اللويزا • فأعاد عليه السؤال بالسواحيلية : « ما الذى كنت تفعله فى الجزيرة ؟ » •

قال ألانت : « لا شىء » • لأنه لم يكن ينوى أن يقول لهم شيئا عن الملكة الأفريقية : لأنه من الحكمة أن يفعل ذلك •

سأله القبطان ثانية :

فأجاب : « لا شىء ، لا شىء » •

لم يعرف القبطان ماذا يمكن أن يفعله أكثر من ذلك • ورأى أن ذلك الرجل يجب أن يشنق • كان

قد سبق له أن حكم باعدام رجل واحد فقط قبل هذا ـ وكان الرجل نصفا عربي ونصف أوربى ، وتم شنقه على شاطىء البحيرة ليكون عبرة للجواسيس الآخرين ، ونظرا لحرارة الجو فلم يبق معلقا لفترة طويلة •

في هذه اللحظة كانت هناك ضجة بالخارج • ثم فتح الباب ودخل بحار أفريقى ، يجذب أسيرا آخر خلفه • عندما رآه القبطان نهض واقفا لأن الاسير كان امرأة • امرأة بيضاء ، رغم أن بشرتها بلون بنى من أثر الشمس • وتنسدل على وجهها خصلة من الشعر البنى •

قال الرجل بالسواحيلية : « لقد وجدت هذه المرأة في احدى الجزر الأخرى » •

وأضاف الرجل قائلا : « ووجد ذلك أيضا » • وقدم طوق نجاة ،فاستطاعوا رؤية اسم « الملكة الأفريقية » على طوق النجاة •

فقال القبطان : « الملكة الأفريقية » محاولا أن يتذكر شيئا ما عن ذلك الاسم • ثم أخذ يقلب مجموعة الورق التى أمامه حتى وجد ما أراده ، كانت اشارة مرسلة من فون هانكن • حتى هذه اللحظة لم تكن أخبار

اختفاء زورق بأعلى نهر « ألانجا » تهم قبطان « اللويزا » في شيء أما الآن فقد اختلف الأمر !

نظر الى الأسيدة الجديدة · كانت تحاول آن تلملم ثيابها ·

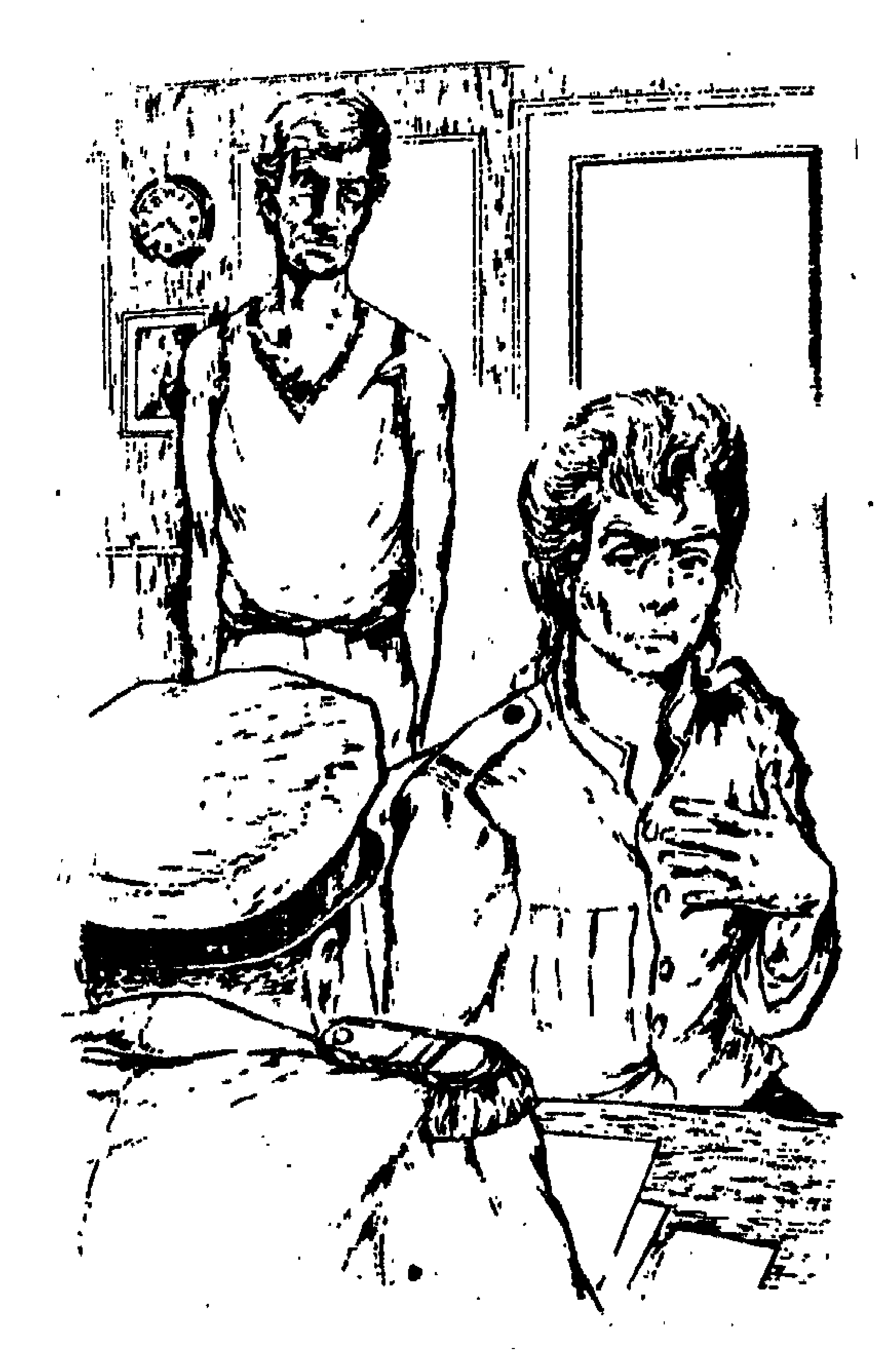
فقال : « أيها الضابط شميدت ، ناولها معطفا » · أحضر الضابط معطفا ·

فقال القبطان : « ومقعدا » ·

فقدم لها الضابط مقعده ·

عرف القبطان هوية الاثنين · الرجل كان مهندسا « للملكة الأفريقية » والمرأة لابد أن تكون راهبة في البعثة التبشيرية من المؤكد أنهما تركا «الملكة الأفريقية» بأعلى نهر « ألانجا » وحضرا الى هنا على متن قارب صغير ، وعندما هبت العاصفة ليلة أمس ، كانا يحاولان عبور البحيرة للوصول الى الكونغو البلجيكية ·

قال القبطان : « والآن يا سيدتي العزيزة ···» · وبدأ يستجوب روز بالسواحيلية · واكتشف أيضا أنها تعرف القليل من الألمانية · فقد قام صامويل بتعليمها الألمانية من كتاب ، لكنها وجدتها صعبة فلم تحصل الا القليل ·



القبطان يستجوب الأسيرين روز والانت

اكتشف القبطان أيضا أن ألانت وروز ، قد مضيا « بالملكة الأفريقية » عبر عقبات نهر الانجا حتى وصلا الى البحيرة ٠

قال القبطان : « لكنها ، يا سيدتى ٠٠٠ رحلة خطرة جدا » ٠ فقد كان قد قرأ كتاب « سبنجلر » ، وهو الرجل الوحيد الذى قام بهذه الرحلة على طول النهر ، بقارب أفريقى صغير ٠

لم تجب روز ، فهذا لا يهم ٠ قالت لنفسها : « لا شىء يهم الآن » ٠ فقد سعدت لرؤية ألانت ، الا أن مشاعر الحب تجاهه بدت ميتة ، لأن « الملكة الأفريقية » غرقت ، وما زالت « اللويزا » تسيطر على البحيرة ٠

كان القبطان قد سمع عن شجاعة النساء الانجليزيات ، وصبرهن على تحمل الألم دون شكوى ، وهدوء أعصابهن عند الخطر ٠ وأمامه برهان واضح ٠

الآن لم يعد هناك اتهام بالجاسوسية ولا حكم بالموت ٠ فهو لا يستطيع أن يشنق شخصا واحدا دون الآخر ، كما أنه لم يفكر للحظة فى اعدام روز ٠ حتى لو كانت جاسوسة ، فلم يكن ليقدم الى اعدامها ٠ بالاضافة الى أنها أحضرت زورقا بحريا من أعالى نهر

« ألانجا » الى البحيرة • وهو كبحار لا يستطيع تصديق ذلك ، الا أن الأمر حقيقة واقعة • وذلك شيء رائع فى حد ذاته :

سألها : « لكن لماذا لم يخبرنا صديقك بهذا » •

تطلعت روز الى ألانت — ورأت كم هو مريض ، ويكاد يقف بصعوبة • فاستيقظت مشاعرها كامرأة ، فقامت من على مقعدها وتوجهت اليه لتحميه من السقوط •

قالت بغضب : « انه مريض ومنهك للغاية ، ينبغى أن يكون فى الفراش » • أحاطته بذراعيها ، وجاهدت فى أن تقول بالألمانية والسواحيلية ، عما ينبغى أن تكون عليه معاملة رجل مسكين فى مثل ظروفه • ووضعت كفها على وجهه وهمست بكلمات تعبر عن حبها له • لقد كانت هى الأخرى مصابة بالملاريا ، لكنها بدت فى معطف الضابط الألمانى كامرأة جميلة •

قال القبطان : « لكنك مريضة أيضا » •

لم تشأ أن تشغل نفسها بالرد عليه •

تطلع القبطان حوله الى أعضـــاء هيئة المحكمة وقال : « يمكنكم الانصراف » •

وعندما انصرف الضباط الأربعة ، حاول أن يقرر ما سوف يفعله بشأنهما • من المفترض أن يوضع هذا الأسيران في معسكر الأسرى : وهذا ما كان سيفعله في معسكر الأسرى • فكر : « ليس من الصواب أن يموت هذان الشخصان ، بعد أن قاما بالكثير • وأنا أعلم أن الأسرى لا يعاملون كما ينبغي في وسط أفريقيا الألمانية • لكن ما الضير الذى يمكن أن يسببه اطلاق سراح رجل واحد مريض ، وامرأة واحدة مريضة ، في الحرب بين دولتين ؟ • لو علم فون هانكن بذلك سيغضب جدا ، لكنني قبطان « اللويزا » وصـــاحب السيادة على البحيرة • وأستطيع أن أفعل ما أريد فوق سطح سفينتي » •

كان القبطان قد قرر ما سوف يفعله ، قبل أن يغلق شومان الباب •

(١٧)

تسليم الأسيرين الى الجانب البريطانى

كانت مدينة « بورت ألبرت » تقع على شـاطىء البحيرة ، لكن فى نطـاق الكونغو البلجيكيـة ٠ لكن حاكمها كان ضابطا بريطانيا ٠ كان فى طريقه لرؤية الاستعدادات النهائية لتجميع زورقين لمهاجمة اللويزا ، كانا قد أرسلا من انجلترا ونقلا الى « بورت البرت » بمشقة كبيرة بواسطة السكك الحديدية والنهر ٠

كان الزورقان صـغيرين جدا ، لكنهما يتميزان بسرعة تفوق سرعـة « اللويزا » أربع مرات ٠ وكل منهما مجهز بمدفع سريع الطلقــات ، ضعف مدفع « اللويزا » القديم ٠ كان الحاكم شغوفا لاتمام هذه المهمة ، بقدر ما يستطيع ، حتى يخرج هذان الزورقان ، لاصطياد « اللويزا » ٠ وكلما كان أسرع كان أفضل ٠

تطلع الحاكم عبر البحيرة ، ثم توقف فجأة ٠٠ فقد رأى دخانا على بعد ، تحته شيء أبيض ٠ فأسرع اليه ضـابط ، معه منظار مكبر ناوله للقائد وقال : « انظر ، يا سيدى ٠ هذه هى اللويزا » ٠

نظر القائد خلال المنظار المكبر ، وقال : « أجل ، يبدو أنها على استعداد للدخول فى معركة : لكن ما هذا العلم الذى يرفرف على ساريتها ؟ هذا ليس علم المانيا ٠ انه ٠٠٠ ماذا يمكن أن تظن ؟ » ٠

نظر الضابط خـلال المنظار المكبر ، وقال : « أظن أنه ٠٠٠ علم أبيض » ٠

قال القائد : « أعتقد ذلك أيضا ٠ لكننى أتساءل ماذا يقصدون بذلك ٠ بالتأكيد لن تقترب من الشاطىء بهذا العلم الأبيض ، ثم تهاجمنا ! » ٠

صعد القائد بسرعة الى قمة أحد التلال المحيطة بـ « بورت البرت » ، حيث يوجد مدفعان وضابط ٠

قال القائد : « لو أنهم يخططون لضربه ، فسوف يأسفون لذلك ٠ بامكاننا ضربهم بهذه المدافع » ٠

لم يكن فى نية الألمان القيام بأى هجوم ٠ اذ أن « اللويزا » اقتربت من الشـاطىء لمسـافة بعيدة

لا يستطيع فيها مدفعها اصابة أى هدف • بعد ذلك شاهد القائد دخانا أبيض وسمع طلقة مدفع ، ورأى العلم الأبيض ينزل الى نصف السارى ، ثم يرتفع ثانية •

ـ « هذا يعنى أنهم يريدون « الكلام » يريدون التحدث الينا » •

لم يكن من طبعه أن يعرض الآخرين للخطر • فقال : « ساذهب اليهم » •

ثم التفت الى الضابط الشاب وقال له « ابق أنت هنا • ستتولى أنت القيادة أثناء وجودى هناك • اذا رأيت أن الموقف يتطلب اطلاق النار ، أطلق النار بأسرع ما يمكن • لاتهتم بى • هل فهمت ؟ » •

ـ « نعم ، يا سيدى » •

قال القائد : « ساذهب فى أحد هذه القوارب الأفريقية » • كان عدد من هذه القوارب راسيا على الشاطىء لعدة شهور ، خوفا من « اللويزا » ، وقد استخدمت كستار لاخفاء العمل فى تجميع الزورقين البريطانيين •

أخذ الضابط الشـاب يراقب بالمنظار المكبر ، بينما كان القارب يبتعد عن الشاطىء • كان القائد يجلس فى مؤخرة القـارب ويرتدى معطفا أبيـض • شـاهده الضباط الشـاب وهو يوجه القارب ناحية « اللويزا » الواقفة على مبعدة من الشاطىء • وبعد فترة لم يـر من القـارب الا شراعه الأصغر • ثم رآه يصل الى « اللويزا » ، ثم اختفى عندما طوى الشراع وأصبح القارب بجوار جانب « اللويزا » •

مضت فترة طويلة من الانتظار القلق ، وأخيرا ظهر الشراع الأصغر ، فقد كان القارب عائدا • أطلقت طلقة مدفع من « اللويزا » بينما كانت تستدير عائدة ثانية تجاه الشاطىء الألمانى •

ابتعدت « اللويزا » الآن الى الحد الذى يمـكن رؤيتها بصعوبة ، فى الوقت الذى اقترب فيه القارب الأفريقى من الشاطىء • ترك الضابط موقعه وتوجه لملاقاة القائد • سرعان ما رسا القارب ، وأنزل البحار الأفريقى الشراع • كان القـائد يجلس فى الجـزء الخلفى ، وكان هناك شخصان ممدان فى قاع القارب • تطلع اليهما الضابط بدهشة شديدة : فقد كان أحدهما امـرأة • كانت ترتدى ملابس من قمـاش الأشرعـة المخطط ، كان جزءا من قماش مظلة « اللويزا » ، وفوقها

معطف أبيض على أكتافه نجوم ذهبية ، مما يفيد أنه يخص أحد الضباط الألمان · لم يهم الضابط الشاب بالنظر الى الشخص الآخر الذى كان يرتدى ملابس بحار أفريقى من طاقم السفينة ، لأنه كان مندهشا جدا من منظر المرأة ·

قال القائد : « أحضر بعض الرجال ليحملوا هذين الشخصين ، فهما مريضان جدا » ·

كان كلاهما قد داهمته نوبة الملاريا ، وكانت من الشدة بحيث لم يعرفا أين هما · أمر الضابط جنوده بحملهما الى الشاطىء ، ثم تلفت حوله ليرى ماذا يمكن أن يفعل من أجلهما · فى النهاية قام بوضعهما باحدى الخيام التى يستعملها البحارة الانجليز ، لأنه المكان الذى يمكن وضعهما فيه ، لأنه لا يوجد فى « بورت البرت » سوى أكواخ أفريقية ·

قال الطبيب بعد أن فحصهما : « سيكونان على ما يرام خلال ساعة أو ساعتين » ·

قال القائد : « لست أدرى ما سوف أفعله لكليهما · فهذا المكان لا يناسب امرأة مريضة » ·

سأل الضابط : « من هذه السيدة ؟ » ·

ـ « امرأة من البعثة التبشيرية · عثر عليها طاقم « اللويزا » فى مكان ما من البحيرة ، وهى تحاول الفرار الى هنا » ·

ـ « تصرف طيب جدا من الألمان لاحضارهما الى هنـا » ·

قال القائد باقتضاب : « أجل » ·

قال الضابط : « قد يكون من الممكن أن يخبرانا بأى شىء عن الألمان يفيدنا » ·

ثم سأل الطبيب : « هل من الممكن أستجوابهما ؟ حيث أنهما أحضرا الى هنا تحت حماية علم أبيض · لست أدرى اذا كان مسموحا لنا بذلك » ·

قال القائد : « نعم ، يمكنك استجوابهما ، ليس هناك ما يمنع من ذلك · لكنك لن تحصل منهما على أى شىء مفيد » ·

عندما بدأ القـائد فى استجواب روز وألانت : اكتشف انه ليس لديهما الا القليل جدا ليدليانه · كما أن ما قالاه ، كان هو علم به من قبل ·

فكر القائد للحظـــة فى المعـركة التى ستحســـم السـيطرة على البحيرة ، وكذلك فى المستقبل عندما

تصبح كل القوارب الأفريقية تحت حراسة الزورقين الجديدين ، وفى الانتصار على القوات الألمانيـة ووضع نهاية لفون هانكن • ثم سأل ألانت عما اذا كان الألمان قد قاموا بأى ترتيبات لمنع الانجليز من الوصـول الى شاطئهم على البحيرة •

•

قال ألانت : « أنا لم أر أى شيء » •

لكن روز فهمت سؤاله بشكل أوضح •

قالت : « لا يمكنك أن تنزل اى أحد فى المكان الذى جئنا منه ، فكله طين ونباتات مائية وبوص اضافة الى الملاريا » •

قال القائد : « لا أعتقد بأننى أستطيع انزال رجالى هناك ، اذا كان يمثل هذا الوضع •• لكن كيف وصلتما الى البحيرة » •

قالت روز : « وصلنا اليها عبر نهر ألانجا » •
— « حقا ؟ » •••

لم يتقبل القائد ذلك بشيء من الاهتمام ، وقال : « أنا لا أصدق أن هذا ممكن » •

فقال ألانت : « بل ممكن ! ممكن جدا ! » •

فقال القائد : « هذا شيء مشوق » • لكن لم يبد عليه أنه متهم وقال : « أرجو أن تتيحا لى فرصة سماع ذلك فيما بعد » •

لم يبد عليه الاهتمام بما فعله هذان الشخصان العاديان ، وأدى بهما الى فقدان زورقهما بغباء • فغدا سوف يقود زورقيه لمهاجمة « اللويزا » ولديه الكثير ليفكر فيه •

قال لنفسه وهو يخرج : « ربما يكونا على صواب ، وربما لا • ومن المحتمل أن يكون كل ذلك خدعة من فون هانكن ، ليدس الينا اثنين من أعوانه • لن يدهشنى أن يكون الأمر كذلك • لا ينبغى أن يغادرا خيمتهما حتى تغرق « اللويزا » • لا يبدو أنهما متزوجان ، رغم أنهما عاشا سويا كل هذه الأسابيع . وبالتالى ليس من الصواب أن يوضعا فى خيمة واحدة • لكننى فى الحقيقة لا أستطيع توفير خيمة أخرى ، اضافة الى أننى يجب أن أوفر جنديا أنا فى حاجة اليه للقيام بحراستهما • يجب أن تنتبه لذلك ! ينبغى على أن أذهب لألقى نظرة على مدفع « مانيلدا » •

(١٨)

المعـــركة

صباح اليوم التالى ، شاهد قبطان « اللويزا » زورقين رماديين يشقان المياه ويثيران أمواجا عالية على جانبى مقدمتهما ، يتجهان نحـوه ، ويرفرف عليهما علمان من الأعلام البحرية البريطانية ٠

صاح : « استعداد ! ٠ أطلقوا النار ! » ٠

أسرع الضابط شميدت ناحية المدفع ، بينما اتجه الضابط شبومان الى عجلة القيادة ليقف بجوار البحارة الأفارقة للتأكد من تنفيذ أوامر القبطان ٠

استدارت « اللويزا » لمواجهة أعدائها ٠ انطلق مدفعها مرة ـ مرتين ، لكن ببطء شديد ٠ أما الزورقان « ماتيلدا » و « أميليا » ، فقد اندفعا ناحية أحد جوانب

السفينة بسرعة فى شكل دائرة واسعة بعيدة جدا عن مرمى مدفع « اللويزا » ٠

كانت « اللويزا » بطيئة الحركة ولم تستطع الالتفاف بسرعة كافية لتصبح مقدمتها فى اتجاه هذين الشيئين الطائرين اللذين يقتربان منها أكثر وأكثر ٠ كانت سرعتهما أربعة أضعاف السفينة الألمانية ، وعشرة أضعاف بالنسبة لحركة الالتفاف ٠ حاول الضابط شميدت أن يوجه المدفع ناحيتهما ، لكنه لم يرى سوى المياه الثائرة خلفه ٠ فلم يستطع أن يوجه مدفعه أكثر من ذلك ، كما أن السفينة لم تستطع الالتفاف بسرعة أكثر من ذلك ٠

كان القائد البريطانى يقف داخل « ماتيلدا » ، وأخذ يتطلع بهدوء الى المسافة التى تزداد قربا بينه وبين « اللويزا » ٠ كانت الحركة التى قام بها الزورقان ، قد جعلته يصل الى الجزء الخلفى لسفينة الأعداء التى لا يوجد بها مدفع ٠ لم يكن يود تحقيق النصر بسهولة فقط ، وانما بأقل خسائر ممكنه ٠ تطلع خلفه فرأى « أميليا » فى مكانها الصحيح ٠ صرخ آمرا الرجل الذى على عجلة القيادة ، ثم لوح بيده للضابط الموجود على المقدمة بجوار المدفع ٠ فانطلقت القذائف بسرعة واحدة وراء الأخرى ٠

أصابت القذائف التى انطلقت من « ماتيلدا » الجزء الخلفى « للويزا » • فى البداية كانت الاصابات مجرد ثقوب فى جانبها ، لكن سرعان ما نفذت القذائف الى منتصف السفينة حاملة النيران والدمار الى كل مكان •

لم يعد من الممكن التحكم فى دفة « اللويزا » ، فانطلقت عائدة فى خط مستقيم • أصدر القائد أمرا جديدا بأن تواصل « ماتيلدا » و « أميليا » تتبع السفينة ، وقصفها من المؤخرة حتى المقدمة •

أصيبت الغلاية ، فاختفت « اللويزا » فى سحابة من البخار • وسلق الرجال الموجودين فى غرفة المحركات •

كان القائد يتوقع حدوث هذه اللحظة • عندما شاهد البخار أصدر أمرا سريعا بايقاف محرك « ماتيلدا » • عندما انقشع البخار من فوق « اللويزا » كانت تقف لا حول لها ولا قوة • والزورقان البريطانيان ساكنان سليمان •

انتهت المعركة ، لكن العلم الألمانى كان لا يزال فوق السارية : اذن فهم مازالوا مستمرين فى القتال •

اصطدم شيء ما بالماء بجوار « ماتيلدا » وسمع القائد صوت جلبة قادمة من « اللويزا » فاكتشف أن بعضا من طاقم السفينة كان يطلق عليهم النار من بنادقهم . مثل هذه الطلقات تستطيع قتل الانسان على بعد ميل ونصف ، ولم يكن القائد يرغب أن يعرض رجاله لمزيد من الخطر .

لم يكن يريد أيضـــــا أن يقتل الألمـان الذين يواصلون . اطلاق الرصاص دون فائدة ، لكن يجب أن يفعل ما كان ضروريا .

فقال : « لا بأس ، اذن ! » .

أصدرا أمرا باطلاق النار مرة ثانية بزاوية ارتفاع قليلة . قتلت احدى القذائف ثلاثة رجال كانوا يطلقون النار من بنادقهم وهم منبطحون . ولم يعرف الضابط شميدت أبدا كيف نجا من الموت . وقتلت القذيفة الثانية الضابط شومان . لكن القبطان لم يصب . فقد نزل الى أسفل السفينة كما فعل من قبل وهو يضع معطفه أمام وجهه ليحميه من البخار الصادر من غرفة المحركات . ترك ليؤدى مهمته الأخيرة .

قال القائد بعد أن أمر بوقف اطلاق النار : « ربما في ذلك الكفاية للقضاء عليهم » . تطلع الى « اللويزا »

ثانية . كانت تقف ساكنة يغطيها الدخان والبخار . توقف اطلاق النار الآن ، لكن العلم الألمانى كان مايزال على السارية .

بعد ذلك لاحظ القائد ، أن السفينة تغوص فى الماء ، وبينما هو يراقب ذلك ، فجأة انقلبت السفينة على أحد جانبيهـــا . لقد قام القبطان الألمانى بمهمته الأخيرة . فتح محابس المياه لاغراق السفينة . وهكذا غاصت فى قاع البحيرة .

قال القائد : « آمل أن يكون باستطاعتنا انقاذ هؤلاء المساكين » .

اندفعت كل من « ماتيلدا » و « أميليا » تجاه « اللويزا » ، فى اللحظة التى كان العلم الألمانى يغوص فى الماء . وصلوا فى الوقت المناسب وأنقذوا كل من كان على قيد الحياة .

(١٩)

النهـــاية

حمل الرجال الجرحى بعناية الى الشاطىء ليتولى الطبيب علاجهم • كما كان لزاما على القائد كتابة تقرير بالنصر وارساله الى لندن ، وتقرير آخر يتم ارساله عن طريق القائد البلجيكى الى بروكسل •

كان فكر القائد مشـــغولا للغاية فى رسم خطته المستقبلية للهجوم بجيشه عبر البحيرة فى معركة ضد فون هانكن • وهذا يجب أن يتم بأسرع ما يمكن ، وقبل أن يكون لدى فون هانكن الوقت ليفيق من أثر هذه الهزيمة غير المتوقعة ، ويجهز نفســـه للهجـــوم عليهـــم •

كان لدى القائد أشياء أخرى تشـــغل تفكيره ، أشياء ينبغى التعامل معها فورا • فلديه بعض الأسرى

الجرحي من الألمان وآخرون سالمين ، يجب التعامل معهم على الفور • أرسل فى استدعاء روز وألانت •

قال : « سوف أرسل بعض الأسرى الألمان الى الساحل ، سأرسلكما معهم • فهل هذا مناسب بالنسبة لكما ؟ » •

قال ألانت : « أعتقد ذلك » •

حتى هذه اللحظة كان هو وروز شخصين بلا مستقبل • فعلى الرغم من تدمير « اللويزا » ، الا أن ذلك أعطاهما احساسا بعدم وجود هدف لهما ، ولا مستقبل •

قال القائد : « أعتقد أنك ستنضم الى الجيش ، أليس كذلك ؟ أنا لا أستطيع أن أرتب لك ذلك ، لكن ذلك يمكن أن يتم عندما تقابل القنصل الانجليزى فى « ماتاردى » » •

قال ألانت : « القنصل ؟ » •

ـ « نعم ، ضابط من الجيش البريطانى يمكنك التعامل معه • أى قنصل بريطانى يمكنه أن يؤدى لك ما تريد • بالطبع سيتم ذلك عندما تسترد صحتك وتصبح على ما يرام • سوف يرسلك للالتحاق بجيش جنوب أفريقيا ، وستكون فى أحسن حال » •

قال ألانت : « نعم ، يا سيدى » .

- « أما أنت يا سيدة ، روز - أم آنسة ، روز ، أليس كذلك ؟ فأعتقد أن أنسب مكان لك هو الساحل ، من هناك يمكنك العودة الى انجلترا ، القنصل البريطانى سـوف .... » .

قالت روز : « نعم ، ياسيدى » .

قال القائد : « أعتقد أن ذلك مناسب بالنسبة لكما . سترحلان خلال ساعتين أو ثلاث » .

« سيدة ، أم آنسة » لقد قال القائد : « سيدة ، أم آنسة » . ويبدو أن ما قاله القائد قد حدد فى الواقع مستقبل روز . عندما خرجا من غرفة القائد ، أحست روز بخجل شديد . فحتى هذه اللحظة كانت امرأة بلا مستقبل ، وليس لديها من المشاكل ما يشغلها . أما الآن فالوضع مختلف .

لقد قال القائد أن بامكانها العودة الى انجلترا . وهذا يعنى العودة الى الشوارع الفقيرة ، وتجمع أفراد عائلتها حولها يمطرونها بالأسئلة . كما أنها سـوف تفترق عن ألانت ، وهو يعنى الكثير بالنسبة لها ، فقد ظل أمام ناظريها لعدة أسابيع ، وأن تفترق عنه الآن وتفقده ، فهذا أشبه بفقدان ذراع أو ساق . حتى

لو تبدلت مشاعرها نحوه ، فهى لاتستطيع التفكير فى مستقبلها دون وجود ألانت ٠

قالت : « شارلى ، لابد أن نتزوج » ٠

صاح ألانت : « ماذا ؟ » ٠ فذلك شىء لم يفكر فيه على الاطلاق ٠

قالت روز : « يجب أن يتم دلك بأسرع ما يمكن ٠ القنصل يمكنه أن يقوم بذلك ٠ بمجرد أن تصل الى الســاحل ٠٠٠ » ٠

لم يعرف ألانت ماذا يقول ، فهذا السفر المفاجىء الى الساحل ، وفكرة التحاقه بالجيش ، وهذا الطلب الجديد جعله لا يستطيع أن يقول شيئا ٠

فكر : « ان روز أعلى مســتوى منى ، وما أنا الا مجرد عامل ، وهى من الطبقة الوسطى ٠ كما أنه ليس لدى نقود ٠ لكن أعتقد أننى سأحصل على مرتب من الجيش » ٠

قال ألانت : « لا مانع ، ياروز ، فلنتزوج » ٠

غادرا البحــيرة وبدأت رحلتهمــا الطويلة الى « ماتاردى » ــ والزواج ٠ فهل نعما بالســعادة فى حياتهما ؟ من الصعب الاجابة على هذا السؤال ! ٠

الفهـــــرس

الموضـــوع	الصفحة

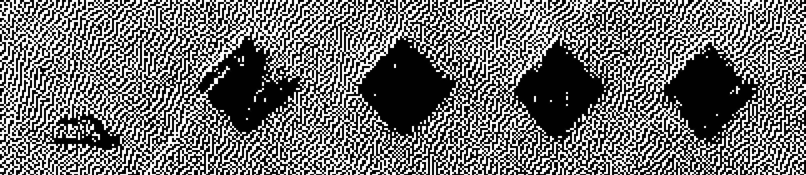
الموضـــوع	الصفحة

رقم الإيداع ١١١٠٣/٢٠٠٠

I.S.B.N. 977-01-6829-7

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب





هذا هو العام السابع من عمر «مكتبة الأسرة»..
ومنذ سنوات طوال لم يلتف الناس حول مشروع ثقافى
كبير كما التفوا حول هذا المشروع الثقافى الضخم حتى
أصبح مشروعهم الخاص، وطالبوا باستمراره طوال العام،
واستجبنا لهذا المطلب الجماهيرى العزيز إيماناً منا
بأهمية الكتاب؛ وبالكلمة الجادة العميقة التى يحتويها؛ فى
إعادة صياغة وتشكيل وجدان الأمة واستعادة دورها
الحضارى العظيم عبر السنين.

لقد استطاعت «مكتبة الأسرة».. أن تعيد الروح إلى
[illegible]



مكتبة الأسرة 2000
مهرجان القراءة للجميع